أسامة درة

من داخل الإخوان.. أتكلم

من داخل الإخوان.. أتكلم

أسامة درة

الطبعة الثانية / ٢٠١٠

دار المصري للنشر والتوزيع



دار السلام/ القاهرة

ت: ٠١٤٦٣٣٥٠٩٨

٠١٨٢٣٤٣٨٧٩

Email: elmasrypublishing@gmail.com

المدير العام: يوسف ناصف

الغلاف: عبد الرحمن الصواف

رقم الإيداع: ٢٠١٠/ ٢٢١٩٩

الترقيم الدولي: ٧-١١-٦٣٧٨-٩٧٧-٩٧٨

من داخل الإخوان.. أتكلم

أسامة درة



إهـداء

إلى أمـي...

التي فجّر موتها إحساسي

إلى الإخوان...

جماعتي التي أعشقها وأعتب عليها

إلى أختـي سالي وأبـي...

حفظهما الله لي

إلى أعز أصدقائـي...

الذي لن يحب أن أذكر اسمه هنا، لئلا يقال أنه على صلة بالإخوان

المقدمة

لا أحب المقدمات

ولولا أنهم يكتبون للكتب مقدمات لما كتبت هذه الكلمات

عن الإخوان المسلمين أتكلم...

تعرفون هذا من اسم الكتاب طبعا

قررت منذ سنة ألا أبقى محظورا، وبدأت أكتب

ففي أواخر ليلة باردة من شهر يناير عام ٢٠٠٩ أمسكت القلم

ومنذ تلك الليلة لم أتوقف عن قذف الأفكار

وإليكم ما كتبته في هذه المدة عن نفسي وعن الإخوان وعن الحياة من حولي.

لم أكن أعرف أني سأنشر كلامي في كتاب حين بدأت أكتب

كنت أكتب فقط لأستريح

وكنت أعرف أن الناس لا يعرفون شباب الإخوان جيدا

يراهم الناس فقط في لقطات تم تصويرها بالموبايل وقد احتشدوا يحتجون على شيء ما في الجامعة.

يرون مجموعة شباب متدينين، على وجوههم لحى خفيفة (بالكاد يمكن تسميتها لحى)، يحملون لافتات، معظمهم من الريف، يرتدون ملابس كلاسيك في الغالب. ولا يعرف الناس من أين أتى كل هؤلاء ولا كيف يعيشون.

لا يعرفون لماذا اختاروا طريقة عيشهم هذه

لا يعرفون كيف يفكرون و يحبون و يشتهون و يخشعون و يغضبون و يخطئون و يواجهون و ينكسرون أو ينتصرون، و كيف يرون الأشياء من حولهم

وأنشأت مجموعة على الفيس بوك سمّيتها: سمسم المحظور، وضعت فيها أفكاري.

سمسم هو أنا...

أمي أول من ناداني بهذا الاسم

ويبدو أن كثيرين سيعرفونني به ابتداءً من الآن

أنا أتكلم لا كأقراني من الإخوان...

تجاوزت خطاب الترويج والدعوة.. إلى الكلام عما أشاء كما أحب

ستسمعون لأول مرة شابا تربى داخل الإخوان لا يخشى أن يتكلم عن حياته العاطفية، ولا يمتنع عن نقد الإخوان الذين يعتبرهم أهله.

كتبت هنا عن أيامي الأولى مع الإخوان، وعن شعار "الإسلام هو الحل" وكيف يراه أهل الحكم، وتخيلت نفسي رئيس مصر وقلت كيف سأعامل الإخوان عندها، وتكلمت عن أزمة المصريين المسيحيين وشعورهم بالاضطهاد وخوفهم من أن يحكم الإخوان البلد، وتكلمت عن الشيعة وإيران وكان رأيي فيهم مختلفا قليلا عن الرأي السائد في الجماعة، وتكلمت عن الجنس وكيف يرى شباب الإخوان المسائل الجنسية بينما يحرّمون على أنفسهم الزنا والاستمناء والمواد الإباحية بل ومجرد إطالة النظر لبنت، وقلت رأيي في أزمة مباراة مصر والجزائر بمنتهى الوضوح، وتكلمت عن عباداتي وعلاقتي بالله

وكما قلت لكم..

أنا لا أحب المقدمات

لذا..

سأنهي هذه السطور الآن

وأتمنى لكم قراءة ممتعة.. بعقول حرة.. وبقلوب غير منحازة

الإخوان.. وطبيخ أمي

أنتقد الإخوان..
فإذا انتقدها غيري، غِرتُ ودافعت
هكذا نحن..
ندافع عن جماعتنا بعنف.. وكأنها أمّنا

بعد انتخابات مكتب الإرشاد

الإخوان.. وطبيخ أمي

أحببت أمي..
كنت ذَكَرَها الوحيد، وكانت كل أهلي
أشتاق لأمي..
فلقد ماتت.. وعشت سنين فظيعة أثناء مرضها وبعد موتها
كنت أراها حلوة، فهي أمي
وكذلك كنت أرى عيوبها، رغم أنها أمي
فكنت أراها حكيمة، قوية، واثقة بنفسها
وكذلك كنت أعرف أنّ...أنّ طبخها ليس جيداًجداً
ورغم ذلك..
كنت أحب طبيخ أمي، وآكله باستمتاع

عرفت الإخوان..
وانتميت للجماعة على غير رغبة أمي
كثيرون آمنوا عندئذٍ أني انتهيت، وأن "مستقبلي ضاع"
كنت أعلن: "أنا من الإخوان" عندما كانت هذه الكلمة ماتزال مرعبة

فقد أحببت جماعتي أكثر مما أحببت أي شيء آخر
شعرت أني أستمد اعتباري وقيمتي منها
آمنت أن الخلاص على الأرض وفي السماء يكون بها
ثم وبعد زمن..
بدأت عيني الناقدة ترى عيب ما أحببت
وكالعادة..
أرى عيب حبيبي.. وأظل آكل ما يطبخه لي

لكنّ جماعة الإخوان ليست امرأةً إن كرهتُ منها شيئا رضيتُ آخر
بل هي كبرى جماعات التيار الإسلامي المعتدل في العالم
فإن وَجَدتُّ في جماعتي "ارتباكات" و"مبالغات" وسكتّ..أنا إذاً آثم
وهل يملك ابن الإخوان الغيور ساعتها إلا أن يتكلم؟!
ربما علا صوته..
ربما اشتدت لهجته..
ربما قال ما لم يرد كثيرون سماعه..
لكنه يبقى ابنَ الإخوان المحب
وربما كان كلامه صحيحا (أو خطأ) ..من يدري؟!
فإن كان أخطأ فله ثواب.. وإن كان أصاب فله ثوابان
ومن أراد له أن يخرس فقد ظلمه
.. وهل يكون الانتماء إلا بصوت؟!

أنتقد الإخوان..
فإذا انتقدها غيري، غِرتُ ودافعت
هكذا نحن..
ندافع عن جماعتنا بعنف، ولو كنا غير مرتاحين فيها.. وكأنها أمّنا
لذا أفهم لماذا نفر إخواني للرد على كلامي
لكني..
لكني لا أفهم كيف رماني بعضهم بـ "عــدم الانتــمــاء" (كذا مرة واحدة)
لا أفهم كيف قال آخرون: "لو مش عاجبك الجماعة الباب يفوت جمل" (كأنها ملكهم)
لا أفهم كيف استخدموا في ردهم آيات مثل: "ولتعرفنهم في لحن القول" و"مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء" و"إن الله لا يصلح عمل المفسدين".
هل هذه إبداعاتهم الخاصة؟!..أم هناك من علمهم هذا؟!
!!!

أعداء الإخوان كثيرون..
وربما احتجنا أن نرد عليهم بالقاسي من الكلام
لكن..
أتكون القسوة من نصيب ابن الجماعة أيضا لو اعترض؟!
بعض كبراء الإخوان اجتهدوا ونشروا اعتراضاتهم في الصحف

كثير من أرقى شبابنا عقولا يئسوا من قنوات الداخل المسدودة، وجاهروا بسخطهم.

...ألقسوة لهؤلاء أيضا؟!

هل هذا مصير كل من ينتقد طريقة الإدارة أو الخط السياسي أو مناهج التربية في الإخوان؟!

مايزال الإخوان في تركيا ينعتون أردوجان بـ"الخائن"..لأنه تركهم وابتدع طريقة أفضل من طريقتهم

فلا هم تغيروا، ولا هم كفوا عن شتمه.. ولا هو ضَرّه ما يقولون

أهكذا تُعامل جماعتي –التي لها ولائي– أبناءها المبدعين؟!

وأخيرا...

سأبقى آكل "طبيخ" حبيبي..فهو حبيبي.. ولو كان طبخه رديئا.

هكذا سأعامل الإخوان،
لو أني أصبحت الرئيس...

للرئيس مبارك في حفظ كرسيه فنون
وأشهد أن عبوره حقبة "بوش"[1] كان عملا بارعا
فأمثال الرئيس ممن رباهم الجيش لا يحتملون أن يخالفهم أحد
لكنّ الرجل احتمل احتجاجات ومظاهرات
وتغاضى عن إضرابات واعتصامات
وأفسح لصحف وفضائيات
بل وترك خُمس[2] مقاعد مجلس الشعب للإخوان
!!
وللرئيس في شأن الإخوان مسلك
..فهو يحاصرهم ولا يخنقهم
..يضعفهم ولا يستأصلهم [3]
..يحاربهم ولا يبيدهم
فيبدو أن طول عهده بالمنصب المدني أورثه مرونة لا تتأتى عادةً لأهل العسكرية

أما أنا...
ولأني ابن الجماعة...
فلو أني أصبحت يوما الرئيس، سأستعين حتما بـالإخوان
.. وسأمكنهم من الإعلام
.. وأبثّهم في أجهزة الدولة
.. وأسلّطهم على المال العام
.. وأوثرهم بالمناصب الخطيرة
لا جَرَم أني سأفعل ذلك وأكثر
ويومها أنا لست "الرئيس الإخواني"، إنما أنا "الرئيس" - وفقط
أنا عندئذ الأمير الذي لا ينتمي لحزب
.. ولي الأمر الذي يُظِلّ الكل لا يميل لطائفة
ولا أقدّم الإخوان إلا لأمانة فيهم أعلمها.. ولقرابة كانت بيني وبينهم أصونها

لكن...
تعلمون أن الإخوان يعتبرون أنفسهم أصحاب مبادئ...
فماذا لو سُقْتُ البلاد يوما إلى ما يرى الإخوان أنه تأباه مبادئهم؟
ماذا لو قسمت مال الناس قسمة غير التي يرضاها الإخوان؟
أو لو أجزت للناس ما يظن الإخوان أنه حرام بلا جدال؟
أو عاهدتّ عدوا على غير ما يقبله الإخوان؟
!!

أيومها ينقلب عليّ كل ما جعلت لهم سلطانا عليه؟
..فيذمني إعلامي بأمرهم، وتتمرد عليّ مؤسساتي؟
..أساعتها يؤلـّبون الناس عليّ، ويؤزّونهم ضدي؟
.. وأكتشف حينها أني نصف رئيس أو أقل؟!
!!!!
فلذلك...
واحترازا من مثل ذلك المصير...
لابد أني لن أشرك الإخوان في حكم البلاد قبل أن يغيروا تركيبة جماعتهم[٤]
وسأسمح بحزبٍ لهم ليس له ثقافة تنظيمية كالتي للجماعة الآن

أشهد...
لولا الإخوان لتفسّخ المجتمع وانفجر فسادا وتطرفا
فهم يصدّون عنا بعضا من شر أهل الحكم الفَسَدة
.. ويملئون الفراغ الذي خلفه الأزهر
.. ويبثون الأمل ويبشرون الأمة بخلاص
.. ويدعمون المقاومة
.. ويذبّون الشباب عن نار التكفير والعنف
.. ويقودون العمل الأهلي
.. ويحتملون في سبيل ذلك ما لا يرجون عليه أجرا إلا من الله.
لكن...

تبقى جماعتهم جسما مخيفا فعلا لأي حاكم (ولو كان صالحا)
ولا ألوم النظام المصري كثيرا على الـ إخوانوفوبيا التي تلازمه
ولينصلح الحال في مصر...
سنحتاج إلى تغيير بنية النظام والإخوان معا
والتفاوض جار بين الفئتين شاقا وخشنا
ولا يبدو من وراء ذلك حتى اللحظة فرج قريب
!!
اللهم أصلح حال مصر
قولوا: آمين

هوامش

(١) أجبرت إدارة الرئيس الأمريكي السابق "جورج دبليو بوش" الأنظمة العربية المتحالفة معها–وعلى رأسها مصر والسعودية–على فتح الباب أمام حريات لم تكن متاحة من قبل وإجراء انتخابات نزيهة وشفافة ضمن ما أسمته: "مشروع الشرق الأوسط الكبير". وراهن المشروع على أن الإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يتضمنها المشروع ستأتي بحلفاء الولايات المتحدة إلى سدة الحكم في بلادنا..لكن تقدم الإسلاميين–المناوئين للنفوذ الأمريكي–في كل انتخابات أجريت في العالم العربي، والانتصار الرهيب لـ حماس في الانتخابات الفلسطينية أجبر الإدارة الأمريكية على العدول عن المشروع في نهاية الأمر

(٢) فاز الإخوان عام ٢٠٠٥ بـ ٨٨ مقعدا في مجلس الشعب من الـ ٤٤٤ مقعدا، وهو ما يعادل خُمس مقاعد المجلس.. وذلك رغم القمع، والاعتقالات، وصد أنصار الجماعة عن لجان التصويت، وحملات التشويه الإعلامية، وإزالة الدعايات الانتخابية، وما إلى ذلك من الممارسات الشاذة

(٣) ولا يقدر على استئصالهم – لو حاول
ولو كان أفلح من سبقه لأفلح هو

(٤) إنما أستعرض هنا مخاوف أهل السلطة الطبيعية، فجماعة توجب السمع والطاعة لغير ولي الأمر وتفترض علاقة روحية بين أفرادها ترقى لدرجة الأخوة هي تهديد حقيقي لكل ذي سلطان. وعلى الإخوان إبرام تفاهم مع النظام يحصلون بموجبه على حريات للمصريين ولهم، مقابل تغيير بنية التنظيم المخيفة هذه

فارس الظلام.. الذي له لحية

قالت أخبار اليوم في صفحتها الأولى: "مروة الشربيني..شهيدة التطرف الألماني"
بدا التعبير غير طبيعي
أكاد أرى المجهود الذي بذله الديسك الصحفي لتطهير العبارة
لماذا لم يقولوا مثلما نقول: "شهيدة الحجاب"؟!
العرب لا يضيفون الشهيد إلى قاتله
إنما يضيفونه إلى المكان أو المعركة التي قتل فيها
نحن—مثلا—لا نقول: "شهداء التطرف الإسرائيلي"..لكن نقول: "شهداء الانتفاضة".
لكنّ الإجابة مفهومة: ... الحجاب من الإسلام، والإسلام منافسنا السياسي، ونحن لا نروّج لمنافسينا في الصحف التابعة لنا.
كنت أتساءل دوما وبمنتهى القرف: ... لماذا يلوموننا على شعار "الإسلام هو الحل"؟!
لكني الآن أعرف لماذا...
هذا الشعار يُشعرهم وكأن الإسلام "بتاعنا"

فلا عجب أنْ تعسفت الدولة ضد كل ما هو إسلامي.. وليس ما هو إخواني فقط

..فالمساجد يغلقونها فور انتهاء الصلاة

.. والدين في المناهج الدراسية جعلوه أقل أهمية من الرسم

.. ولا تجد مذيعة واحدة في تليفزيون البلد محجبة

.. ولا يدخل المتدين (ولا من أبوه أو أخوه أو قريبه متدين) كلية الشرطة

.. والتعليم الديني يقلصون ميزانيته

و... و... و... و...

هل يبدو لكم هذا منطقيا في بلد فيه الأزهر، ورئيسه اسمه محمد؟!

لكني أسأل...

تُرَى هل نحن السبب؟

نحن رفعنا الإسلام شعارا حزبيا

نحن جعلنا الإسلام سلاحا نقاتل به (وهو سلاح قاطع جبار)

..فهل أصبحنا بذلك حاجزا بين الحاكم وبين الإسلام؟

..هل صددنا عن سبيل الله دون أن ندري؟

..هل أردنا أن نهدي الناس بالإسلام، فأشعلنا به حربا عنيفة دون أن نقصد؟

... أتعرفون؟

أنا أشعر أننا نشبه الرجل الوطواط !!

نعم، نعم..باتمان..كلكم يعرفه

أنا شاهدت فيلمه الأخير "فارس الظلام" – إنتاج ٢٠٠٨

هل شاهدتموه؟

أعرف، أعرف..أنتم—أيها الإخوان—لا تشاهدون هذه الأشياء

لكني أوصيكم...

عندما تشاهدون الفيلم، لا تصدقوا باتمان...

هو شخصيا لا يعرف أنه السبب

ولو سألتموه سيقسم لكم أنه بريء من الجرائم الشنيعة التي اجتاحت مدينته "جوثام".

سيقول لكم أن "الجوكر"—أعتى وأظرف مجرمي المدينة—هو من فعلها.

لقد أراد باتمان الخير...

ويصعب أن نتخيل أن كل هذا الشر جاء من تحت عباءته السوداء

لكني أؤكد لكم: ... باتمان ليس بريئا تماما كما يدعي

دعونا نتكلم بصراحة...

لماذا يعيش باتمان تحت الأرض؟!

لماذا لا يظهر إلا في الظلام؟!

لماذا لا يحب أن يساعده متطوعون آخرون في محاربة الجريمة؟!

لماذا يلقب نفسه "الرجل الوطواط"؟!..لماذا سماه المخرج كريستوفر نولان "فارس الظلام"؟!..هل يبدو لكم هذا اسم شخص طيب؟!

ثم...

ثم ماذا لو لم يكن هناك باتمان؟!

هل كان يمكن أن تصبح الأمور أسوأ؟!.. وهل هناك ما هو أسوأ؟!

يا سادة...

لقد أشعل باتمان منافسة سوداء

شاهدوا الفيلم وستعرفون ماذا أقصد

أنا أجرؤ على القول: ... لو لم يوجد باتمان لما ظهر الجوكر

فالبطل الخارق يستدعي المجرم الخارق

والمدينة التي يظهر فيها بطل أكبر من اللازم، يظهر فيها مخرب على قدر البطل.

باتمان تبرّع بإدخال قوة مفرطة غير ضرورية إلى الساحة..فأتى الجوكر كرد فعل.

لهذا حصل "هيث ليدجر" على أوسكار أحسن ممثل مساعد عن دور "الجوكر"، بينما بدا "كريستيان بيل" باهتا في الفيلم في دور باتمان.. فالأول مجرم دعته الأحداث، والثاني بطل لم يدعُه أحد.

ولو كان باتمان ترك الآليات المجتمعية الطبيعية تعمل..لحوصرت الجريمة في جوثام.

لكنه كان كلما خطا، أشعل النار من خلفه...

وكلما اشتعلت النار، أصرّ أكثر على إطفائها

والسؤال...

هل نفعل -نحن الإخوان- مثلما فعل باتمان ونحن لا ندري؟

كان نجم الذين أربكان يقول للأتراك يوما: "المسلم الحق يصوّت لحزب الرفاة".

..كم يبدو هذا سخيفا اليوم !!

.. وكأن "الرفاة" كان شعيرة من شعائر الله !!

.. وكأن "أربكان" كان الوكيل الحصري للإسلام في تركيا !!

ولا عجب أن مشروعه مات في مهده، فمن يظنون أنهم يحتكرون الحقيقة لا تصلح بهم أوطانهم.

وهنا أسأل...

هل نفعل—نحن الإخوان—مثلما فعل أربكان ونحن لا ندري؟

المصيبة أننا لا نحتمل أي نقد...

فلو قال لنا قائل: "شعاركم استغلال للدين، وإخلال بمبدأ تكافؤ الفرص"... نحتمي فورا بدروع الأيديولوجيا ونقول: "هذا يريد أن يطمس هويتنا ويحرفَنا عن أهدافنا ويُنسيَنا منطلقاتنا".

..أصبحنا كالذي تزوج، فأنجبت زوجته بعد شهرين اثنين، فقال له الناس: "ازاي؟!"، فقال مغتاظاً : "يا نهار اسود عالحسد !"

..أصبحنا —مثل هذا الرجل— لا نميز بين الناصح والكاره

منذ ٨٠ سنة ونحن نصطدم بالأنظمة الحاكمة...

الأنظمة كلها...

وبلا استثناء واحد...

هل الحكام هم المخطئون كل مرة؟

..أم فينا ما يخيفهم ولابد من تغييره؟

يا إخواني...

أخشى أننا —ربما— نؤدي ببراعة دور "فارس الظلام"، لكنه هنا له لحية، ويقول: انتخبوني أنا حاملَ لواء الدين.

مسلسل الجماعة

يوما ما في الجامعة...
لبستُ الزي الأسود واللثام الأسود
انتظمتُ في صف من الطوال العراض بلا وجوه
فهكذا يبدو أبطال كتائب القسام، واليومَ نحاكيهم
تقدمنا المظاهرة
أدينا الخطوة العسكرية
أطلقنا الصيحات المُرهِبة
قدمنا استعراضاً بدنياً ما
الأداء كان ركيكا، لكننا استمتعنا
وليتنا كنا بارعين مثل الكومبارس الذين استخدمهم المخرج "محمد ياسين" في المسلسل
مازلت أذكر ذاك اليوم جيدا
وبعد أربع سنوات، في أواخر ٢٠٠٦...
قرأت في الصحف عما أسموه: "العرض العسكري" لطلبة الإخوان
كنت وقتها قد أنهيت دراستي بالجامعة

قلت لنفسي: عادي.. طالما فعلناها.. فما الجديد؟
لكن بعد أيام...
!! علمت أن الجماعة اعتذرت عما فعله شبابها
وحينها شعرتُ أن القيادة خذلت الطلاب المقبوض عليهم
لكن...
بعدما انقضت أربع سنوات أخرى، وأصبحنا في أواخر ٢٠١٠...
أومن الآن أن الاعتذار كان واجبا
فاستعراض فنون قتالية يقوم به ملثمون في حرم الجامعة أمر غير مقبول
وأي مظهر للعسكرة في المجتمع لا تقبله دولة تعتبر نفسها دولة
ولا يمكننا –نحن الإخوان– أن نعمل دون احترام لمنطق أهل الحكم
أما مسلسل الجماعة...
فلم يحترم هذا العمل أي منطق
فلا هو أصبح دراما ممتعة، ولا هو وثيقة تاريخية صادقة
الحلقات تتكلم عن إخوان يخزنون السلاح الأبيض في المدن الجامعية، بينما التحقيقات لم تقل هذا
ويفترض السيناريو طلابا من غير الإخوان شاركوا في العرض، بينما الإخوان لا يسمحون بهذا
ويُلقي الكاتب عبارات خرافية على ألسنة الطلبة أثناء التحقيق، مثل:
يا باشا دا فيه إخوان مايعرفوش حاجة عن حسن البنا
!!!

من حق وحيد حامد أن يقول للناس: "الإخوان جسم غير مطلوب ومُضرّ للوطن"، هذا رأيه

لكنه جَمَع كل قناعاته الأخرى المثيرة للجدل في مسلسله

فأساء للدعاة الجدد، وانتقد الفضائيات الدينية، وهاجم النقاب

أعرف أن الرجل لا يحب مظاهر التدين التي تفشو في المجتمع

لكنه استعدى فئات كان يمكن أن تستحسن رسالته

فالسلفيون –مثلا– لا يحبون الإخوان ويعتبرونهم أعداء فكريين لهم،

لكنه اعتدى على قنواتهم وعلى النقاب الذي يعتبرونه قضيتهم الخاصة،

فخسرهم حتى خرجت حلقات كاملة لدعاة سلفيين عنوانها: الرد على مسلسل الجماعة

الرجل يفتقر إلى الحكمة...

ظنّ أنْ يحشر أفكاره في عقول المصريين حزمةً واحدة

وحيد حامد ومن هم مثله لا يجيدون الكلام مع هذا الشعب

والنظام يَخسَرُ إذ يستعين بأولئك الناس

فشعبنا يعجبه المبدع الذي يحترم الدين، لا الذي يُسوّق ليبراليةً مبالغاً فيها

حتى الطريقة التي جسّد المؤلف بها حسن البنا عجيبة

!ألم يعلم أنّ هدمَ الشخص لا يكون دائما بالإساءة إليه؟

قبل عرض المسلسل...

خلتُ أن يَظهر البنا في الحلقات شخصا عظيما، ثم قاد الجماعةَ مِن بعدِه أشرارٌ ذوو غرض

أو أن يكون شيخا صالحا "على نياته"، أراد الخير لكنه أخطأه
لكنّ السيناريست الشهير تجاوز المتوقع...
فجعل حسن البنا انتهازيا يفيض الخبث من فمه وعينيه
حتى وهو طفل، أبداه عنيفا راغبا في العلوّ والتحكم
وأنا أقول...
البنا وليّ صالحٌ من أولياء الله..حاذقٌ، حكيمٌ، أجاد سَوْق الجموع
وهو –كالبشر– له أخطاء
لكنه ليس الشخص الذي رأيناه في المسلسل قطعا
!!!

الحلقات الأخيرة هي الأهم...
والرسالة فيها: الإخوان أرباب عنف وتخريب واغتيالات
رغم أن الجماعة لم تنسَب لها وقعة عنف واحدة منذ أكثر من ستين سنة
ولا يمكن وصف مجموعة بشرية بأنها "عنيفة" لاغتيالين حدثا في عصرٍ ملتهبٍ وتبرأت منهما قيادة هذه المجموعة
لكن...
دعونا هنا نتكلم بصراحة...
البنا كان ابنَ زمانه، وقد ألحق بجماعته جناحا مسلحا ليوافق أحدث صيحات العصر..ظَن أنه بذلك يستكمل مشروعه
سماه "النظام الخاص"، وجعله لمهام جهادية نبيلة
وفيما بعد...

ندم الإمام البنا أن أنشأ هذا الجهاز
فالأجنحة المسلحة تُجرّ من صنعها إلى معارك لم يُرد دخولها
والقادة العسكريون يشعرون سريعا أنهم أوْلى بالجماعة الأم من القادة المدنيين..يعتبرون المدنيين ناعمين ولا يحسنون سوى الكلام بينما هم أهل الانضباط والتضحية
كما أن إنشاء تنظيم سري مسلح هو منازعة لأولي الأمر في أمرهم
والدولة المصرية التي سمحت في الأربعينيات بتسلح النظام الخاص ومجموعات شعبية أخرى لمقاتلة الصهاينة هي دولة متسيّبة، وهذا النوع من الدول أوشك على الانقراض، فخدمات الأمن والدفاع ينبغي أن تظل احتكارا للحكومة بلا منازع
وهذا "النظام الخاص" –رغم مفاخرَ له– انتهى إلى اغتيال أفراد من الإخوان أنفسهم
وقد روى لي د. عبد المنعم أبو الفتوح أن المستشار حسن الهضيبي –رحمه الله– قال لقادة النظام الخاص في السجن عام ١٩٥٤: انتم لو مسكتوا البلد هتعملوا فينا أسوأ من اللي بيعمله عبد الناصر
فلا ينبغي للإخوان أن يتورطوا في الدفاع عن هذا التشكيل، فإنشاؤه كان غلطة، وقد مات منذ نصف قرن، ودفاعنا عنه يوحي للبعض أننا يمكن أن نكرر التجربة
ولا ينبغي أن تبقى فينا لمحة" منه
فالإخوان جماعة ذات دور اجتماعي وسياسي..دور سلمي
أما المسلسل...

فقد اجتهد صانعه في إضافة بقع حمراء وسوداء إلى تاريخ الجماعة
فأحمد ماهر -كما يتخيل- قتله الإخوان !!
وهذا لم يقله مؤرخ قبل وحيد حامد
الرجل يخترع تاريخا جديدا
والخازندار والنقراشي بطلان وطنيان عنده !!
محظوظ هو الشخص الذي يقتله واحد من الإخوان..يصبح بطلا مَهْما فعل في حياته
!!!

الكلام عن المسلسل أصبح سياسة، والفن انسحب
لا مكان هنا للكلام عن الإخراج والتصوير والميزانية
أي حوار تليفزيوني يتناول الموضوع يتحول إلى معجنة
هذا عمل لن يسمع الناس أبطاله قدر ما سيسمعون السياسيين وهم يحللونه ويُشرّحونه
هذا شأن سياسي جدا
هذا جدل من خاض فيه تلطّخ

يا أيها الآخر.. سلام

هل لاحظت أني قلت لك: "يـا أخـي"؟
لم تفلت الكلمة مني عفوا..بل قصدتها

حوار مع مسيحي

جدّي كان مسيحياً

بعد ما حدث في "نجع حمادي"، وما حدث مع "كاميليا شحاتة"، تكلم الكل إلا أنا
كلهم يصفون حلولا الآن لمشكلتك
لا بأس
سأدلو أنا كذلك بدلوي معهم
وعساي لا أوذي أحدا بكلامي، فالنفوس كما يبدو ملتهبة

دعنا نتكلم بشجاعة..
بعض الصراحة يشفي..
أنت تراني كافرا.. وأنا أراك كافرا
تظن أني لن أدخل ملكوت السماء.. وأظنك مُحرّما على الجنة
تظن القرآن كتابا اختلقه البدويّ الأميّ محمد.. وأرى "العهد الجديد" حكايات اخترعها قديسون ليسوا بقديسين
ورغم ذلك..

لا أشعر بالغضب، ولا أحمل عداوة لك
لا تندهش..
أنا أهضم هذه الحقائق بسهولة
الأغبياء فقط هم من يغضبون وكأنهم اكتشفوا شيئا جديدا لم يكن موجودا
أتعرف؟
حينما أسمع نكتة تبدأ بـ : "مرة واحد مسيحي ..."، ألوم قائلها
أخشى أن يكون سماعي للنكتة إثما ... تخيل؟!
أتذكر ساعتها تحذير محمد: "من آذى ذِمّيا فأنا خصمه..."
مـ..ماذا تقول؟
لا تحب كلمة "ذمي" هذه؟
غير معقول يـــا أخـــي..كن ناضجا، فـ "ذمي" لا تعني "عبد"..إنها تذكرني بعهدي أن أصونك كما أصون المسلم
لكن لا بأس، لن أقولها مادمت تكرهها، فإن القرآن فيه: "... أن تبَرّوهم وتُقسِطوا إليهم".. وأنا–كما تعلم–أومن أنّ الله هو من قال هذا

أنا من الإخوان المسلمين..
أعلم أنك لا تأمنني، وتخشى أن أحكم البلد فأوذيك باسم الدين
..فهل لاحظت أني قلت لك: "يـــا أخـــي"؟
ارجع إلى الوراء بضعة سطور وستجدها
لم تفلت الكلمة مني عفوا..بل قصدتها
فبيننا أخوّة الوطن..

عندنا في القرآن: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ و﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾..
فالرجل أخو قومه ولو خالفهم في الدين
أتدري...؟
أنا أستمتع بفكرة أن أجدادي كانوا مسيحيين
نعم..قبل أن يأتي العرب بالإسلام إلى مصر لابد أن جدودي كانوا مسيحيين
.. وسأحزن لو عرفت أني أنحدر من عائلة وثنية
فالمسيحية كانت دين معظم المصريين (أو الأقباط) أيامها
لذا تصرّ أنت أن تسمي نفسك "قبطي" لتوحي أنك صاحب البلد الأصلي، وكأن المصريين المسلمين وافدون على بلدك.. وأنا لا أحب هذا منك كما لا أحب تعبير "الشعب القبطي"...!!
اسمع...
هل شاهدت فيلم "قائمة شندلر"؟
أنا شاهدته أمس...
وظللت أتساءل طوال نصف الفيلم الثاني: ...لماذا خرج زعيم ألماني يُكنّ كل هذا الحقد لليهود؟
فقفزت هذه الإجابة لذهني: ...لابد أنهم تصرفوا وكأنهم شعب غير الشعب
إنّ أي فئة بأي بلد تعتبر نفسها "أقلية–أحق بالبلد–مظلومة"..ستقاسي المُرّ ولا أخفيك سراً...
كثيرون عندنا في "الإخوان" يفكرون بنفس الطريقة

..لذا نتعرض نحن أيضا لاضطهاد، لكن من نوع آخر
وأراكم يـــا أخـــي..تكررون..نفس الخطأ..بمنتهى الإتقان
والاستناد للخارج في كل مرة (علنا أو سرا) أحد تجليات الخطأ
والمطالبة بحصة في المجالس النيابية (ثم في الوزارات لاحقا) لن تحميك

أتعاطف معك
أعترف بمعاناتك
أقف في صفك..هذا واجبي الديني
اجتمع عليك الشرّان...
شر النظام الأحول غير الكفء
النظام الذي أذلنا كلنا
الذي حرمنا من مشروع قومي يوحدنا ويصرف عنا الاحتقان
أصبحنا في ظل النظام الحالي كالمحابيس الذين عجزوا عن الخلاص من حابسهم، فقرروا أن يتخلصوا من بعضهم
ثم أتى شر "التدين الشرس"..
"التدين الأسود" الذي جعلك في عيون الناس نكرةً وَسِخا، بأذيّتك تعمُر الأرض وتفرح الخلائق.
التدين الذي يعرف كيف يصرخ، ولا يعرف كيف يُصالح
إننا وإياك في خندق واحد إزاء كل هذا
فلا تبتئس يـــا أخـــي..إننا في الهوا سوا
المجد لله في الأعالي.. وعلى الأرض السلام.. وبالناس المسرة

قل: يا حُسين.. ولا تقتلني بها

أحب الأئمة الإثني عشر
حتى أسماؤهم أحبها
يأخذني رنين الألقاب الفخمة: الباقر..الصادق..الكاظم..العسكري
لابد أنهم كانوا[١] أبهياء الطلعة..مشرقي المحيا
أقوياء الشكيمة..أعلياء عن دنيا الناس
عظاماً.. فخاماً
واسعي العِلم والحلم..ليس أحدٌ من الناس مثلهم
وكيف لا وجدّهم "محمد"—صلي ربي عليه وآله؟!
لكنّ من غلا فيهم
.. وادّعى لهم العصمة
.. وجعل تمام الدين بنَصْبهم أئمة
.. وعلا بهم فوق الملائكة والنبيين[٢]
.. ونسب لبعضهم قدرات لا تنبغي إلا للإله
فهؤلاء لا أحبهم

بل وفي صدري من إسلامهم شبهة قوية

!!

لكني كذلك لا أستعين عليهم بمن هو أعدى لي منهم

ولا أحبس عنهم يدي لو مدوا أيديهم بخير

ولو أرادوا حِلفا لكنت لهم خير الحليف

يثير إعجابي "أحمدي نجاد" رئيس إيران

..متواضع ليست هيئته كالرؤساء

..صالح ينتظر إمامه الثاني عشر[٣] بشوق

..عنيد لم تهذب السياسة لسانه ولا قراراته

ولو أن لمصر رئيسا مثله لعلت وعزت

لكنه كذلك مجرم...

!!

يراني[٤] وقومي—أهل السنة—كفارا

وقتل منا في العراق[٥] الآلاف

ويريدني إما شيعيا مثله، أو مُستذلا تحت رايته المكتوب عليها: يا حسين.

والأقليات الشيعية الموالية له في الخليج سيوف مسلطة علينا

ولذراعه "حزب الله" وجه طائفي قبيح

ولو كنت رئيس بلدي لعاديته

ولا يشفع له عندي زهده ولا رجولته

ولا يُـليّنني أنه رئيس "الجمهورية الإسلامية"

فإما سالمني وكفّ عني شره، وإلا ...
أنا من مصر...
وعاصمة بلدي يسمونها القاهرة
وإذا أراد أهل بلدي أن يُفخّموها قالوا: يا قاهرة المعز
فـ "المعز لدين الله" بانيها
والجامع الأزهر من آثاره فيها
لكنّ هذا لا يُنسيني جرائم الرجل في بلدي
فيومَ انبسط سلطان "المعز" على أرضي، قتل علماء ديني
.. وأظهر سبّ أصحاب نبيي
.. ونشر بين أجدادي إيمانا بتناسخ الأرواح
.. وقال لهم أن الله حل فيه[٦]، فهو والله واحد
وتعالى الله عما قال "المعز" علوا كبيرا
آه...
نسيت أن أخبركم...
صاحبنا "المعز" ذاك كان شيعيا إسماعيليا
!!

ولا أظن ذاك "المعز" كان شريرا ذا أنياب بارزة وعينين حمراوين
بل لا أحسبه إلا كان فخيما، عليه أثر النعمة
..تحوطه هيبة السلطان
.. وفي لسانه أدب الملوك

.. وفي أخلاقه –ربما– صلاح وتقوى
ففي السينما فقط يوجد الشر السافر الفاقع
أما في دنيا البشر...
قد يختفي الشر خلف هيئة وقور ولسان ينطق بالحق
فتجد "سيد المقاومة" المُعمّم
السيد..حلو اللسان، هادئ القسمات
السيد..حسن التدبير، صادق الوعد
السيد..الذي –ربما– ليس سره كعلانيته
!!

الشيعة حالة مركبة...
أمدح الحسن فيها، وأذم السيئ منها– وهو كثير
ربما كانت مقالتي هذه ترضي من لا أسعى لرضاه
ولابد أنها ستؤلب عليّ من لا أحب مخاصمته
..لكنها حق ظننت أنه أليَق بي ألا أكتمه

هوامش

(١) الأئمة الإثنا عشر بالترتيب: علي بن أبي طالب - الحسن - الحسين - علي زين العابدين بن الحسين - محمد الباقر - جعفر الصادق - موسى الكاظم - علي بن موسى الرضا - محمد الجواد - علي بن محمد الهادي - الحسن العسكري - محمد بن الحسن العسكري.. رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) قال الخميني: "... وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملكٌ مقرّب، ولا نبي مرسل"-من كتابه الحكومة الإسلامية.

(٣) هو-عند الشيعة-"الإمام الغائب" محمد بن الحسن العسكري الذي أدخله أبوه وهو ابن ٥ سنين في سرداب ويخرج في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا كما امتلأت جورا.. وأكثر معتنقي "ولاية الفقيه" من الشيعة الإثنا عشرية يتخذون المرشد الأعلى للثورة الإسلامية الايراني نائبا للإمام الغائب حتى يظهر.

(٤) قال الخميني-مثلا: "...والأقوى إلحاق الناصب-يعني السني-بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم وتعلق الخمُس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أينما وجد، وبأي نحوٍ كان، ووجوب إخراج خمسه"-من كتابه تحرير الوسيلة.

(٥) قتل ١٠٠٠٠٠ سني بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٦ بالعراق-حسب "حارث الضاري" الأمين العام لهيئة علماء المسلمين، وتم تطهير مناطق كبيرة من سكانها السنة-بالقتل والتشريد-لضمان أغلبية شيعية فيها..تم ذلك على يد الأجنحة العسكرية للأحزاب الشيعية التي تدعمها إيران كـ "جيش المهدي" التابع للتيار الصدري، و"فيلق بدر" التابع للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية، ويتم هذا تحت إشراف "فيلق قدس" التابع للحرس الثوري الإيراني.

(٦) يؤمن الشيعة الإسماعيلية أن الله يحل بالإمام–تعالى الله عن ذلك، الإمام الذي ينبغي أن يكون من نسل "إسماعيل بن جعفر الصادق"– بخلاف الشيعة الإثنا عشرية الذين تمر سلسلة الأئمة لديهم بـ "موسى الكاظم" –ابن جعفر الصادق أيضا– ونسله.. والشيعة الإسماعيلية كانوا في غاية المجون والإباحية، وخرج منهم "القرامطة" الذين قالوا بشيوع المال والنساء.

عندما اتهمني أصحابي بأني.. جزائري!

قبل مباراة السبت في القاهرة..
قال جزائريون أنها ستكون ليلة الدخلة
وبعد المباراة..
قالت جريدة مصرية: يا خضرا قولي الحق، اتكيفتي ولا لأ
ثم هنأت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية منتخب مصر بالفوز
ويومها أشاعت الصحافة الجزائرية أن مشجعا جزائريا قُتل في مصر
وسَرَت أنباء عن اعتداءات على مصالح مصرية بالجزائر
...مشهد رائع كما ترون
!!!!!

قبل مباراة الأربعاء في الخرطوم..
نادى الجزائريون بالثأر لجرحاهم في "موقعة" القاهرة
وظن المصريون أنهم سيحتفلون بالنصر في أم درمان
وبعد المباراة..
حزن المصريون، ففريقهم أقوى وأجدر بالفوز

وتواترت أخبار اعتداءات جمهور الجزائر (المشهور بالعنف) على مصريين.
وقالت صحيفة "اليوم السابع" أن الجزائريين قتلوا مصريا في السودان (يبدو أن هذه الإشاعة لا يطلقها إلا المهزوم)
واستدعت الخارجية المصرية (المشهورة بالبطء وعدم الكفاءة) سفير الجزائر بالقاهرة لتبلغه استياءها، وهو ما لم تفعله مع سفير إسرائيل أثناء حرب غزة.
وتكلمت صحيفة "الشروق" الجزائرية عن الاعتداء على طلبة جزائريين بمصر.
...مشهد رائع آخر
!!!!!

هذه المشاهد شديدة الروعة كان وقودها إعلام البلدين..
فقراءة صحيفة كـ "الشروق" الجزائرية قد تصيبك بارتفاع ضغط الدم
وفي الجزائر قوى تريد أن تسلخها من محيطها العربي
..قوى ترى أن مستقبل الجزائر في الشمال، لا في الشرق
..ترى مستقبلها عند فرنسا، لا عند السعودية ومصر والإمارات
..قوى رأت من مصلحتها أن تواصل التحريض وتزرع الكره
وفي تناغم فريد..
قابلت الفضائيات المصرية التحريض والكراهية بمثلهما
وأتحفتنا هذه القنوات بآراء عبقرية لمجموعة من "الكباتن" الذين تجاوزوا

التعليم الثانوي بصعوبة.
واستحضر الكباتن كلاما ينتمي لسبعينيات القرن الماضي عن "ريادة" مصر.
مع أن مصر (في ظل القيادة الحكيمة) كفت عن هذا الشيء المسمى "ريادة"، اللهم إلا في معدل الفساد ونسبة الأمية وعدد مرضى فيروس سي.
فإذا تكلم الكباتن عن "أفضال" مصر على الجزائر..أحسّ وكأن الجزائريين عليهم أن يكفوا عن تشجيع منتخبهم احتراما لمصر..أو حتى أن يتركوا مصر تكسب.
.. ولا يلزمني أن أكون طبيبا لأعرف أن مشاهدة هؤلاء تؤثر على وظائف المخ

هذه النبرة المتعالية أثارت جنون الجزائريين
فلا شيء يغضب هذا الشعب كالاستعلاء..هذا ما يقوله تاريخهم
أضف إلى هذا أنهم يرون المصريين سبب بلاء غزة
لهذا وصفونا أكثر من مرة بالصهاينة
ولم يكن هذا الوصف فلتة لسان، وإنما شعورا مرّا بأن مصر كانت أثناء حرب غزة الأخيرة -يناير ٢٠٠٩- أقربَ لإسرائيل ومن مصلحتها سقوط المقاومة.
كل هذا مع تعصب جماهير الكرة الجزائرية ساقنا لأحداث الخرطوم
فعاش المصريون إحباطا جديدا
وذاق ألوف منهم الإهانة والرعب في أرض غير أرضهم

..غير أن عدد المصابين القليل جدا يشي بأن روايات العائدين من الخرطوم فيها مبالغات.

ولا أنسى كذلك أن الجزائريين ذاقوا مرارة تشبه هذه قبلها بأيام..

فالقاهرة اعتدت على بعض ضيوفها من الجزائريين بعد المباراة الأولى (قدرت وزارة الصحة المصرية عدد المصابين من جمهور الجزائر بعد مباراة القاهرة بـ ٣١ مصابا، طعن أحدهم بمطواة، بينما ترفع سفارة الجزائر بالقاهرة هذا العدد إلى ٥١ مصابا)

لكننا لم نذكر هذا في حينه لأننا كنا مشغولين بهدف "عماد متعب"، وانخفاض مستوى "أبو تريكة"، وحنكة "حسن شحاتة".. وأشياء من هذا القبيل.

لذا أرسل الجزائريون إلينا أردأ البشر وأرباب الإجرام ليتقوا شر ما حصل بالقاهرة.

وقد فكر المصريون في استخدام "جمهور الدرجة الثالثة" بنفس الطريقة... لكن الحكومة في مصر بخلت بتكلفة تسفير هؤلاء مجانا أو بتذاكر مخفضة إلى السودان

!!!

كلام كهذا لا أقوله وأنا هادئ الأعصاب

يكفي أن أصحابي ينعتونني الآن بأني "جاسوس جزائري"

احتجت إلى صبر كثيف لأثبُت على رأيي هذا

وكم هذا صعب وسط كل هذا الصخب.. وكل هذه الهستيريا

سنحتاج إلى كثير من التجرد

.. وإلى التخلص من مشاعر التعصب البدائية

علينا أن ننظر إلى الخريطة

.. وأن نراجع كتب التاريخ

عندها فقط ربما نفهم كم آذينا أنفسنا بالنفخ في نار هذه الأزمة

هذا ما يسمّونه اكتئاب

أنا في قاع الجماعة، والقاع بارد راكد
التلف يتراكم بي حيث أنا
أنا أتيبّس هنا، وأخشى أن تأتي
المعركة يوما فأعجز عن القيام لها

لا بأس ببعض الكآبة

أمسك كوب الشاي
ويتلاعب اشتهاء النوم برأسي
جفناي ينغلقان دون أن آمرهما بذلك
كل شيء فيّ يدعوني للسرير
لكني مستعصم بكوب الشاي والكيبورد
وسأكتب أشياء كئيبة
أفضل دوما أن أكون رومانسيا
لكن...
لا بأس اليوم ببعض الكآبة

أريد أن أكتب شيئا لا أعرف ما هو
أشتهي شيئا لا أعرف كيف أصل إليه
أودّ لو أوذي من لا ينفعني أذيّته
أحتاج أن أرفع صوتي، لكنّ الكسل يغلبني
أقبض يدي لولا أن عضلاتي مرتخية

أشتكي، وأندم أن اشتكيت
الحرّ يهيّجني، ولايبين على وجهي من ذلك شيء
لا يستقر شيء إلا وأنتظر زواله
أتوجس من الغد، ولا أخاف ما بعد الغد
أنام عندما لا أنوي أن أنام، فإذا تهيأت للنوم لم أنم
أتمنى قرب من أعرف أن قربه لا يرويني
أترفع وكلي حاجة إلى ما أترفع عنه، ولا أندم أن ترفعت

أصبحت اجتماعا لأشياء لا تجتمع إلا عندي
أحب بيضاء البشرة، ثم لا أقع إلا في حب سمراء
أتكلم بهدوء، أجادل فأقهر، آمُرُ فأقسو.. وأظل أتكلم بهدوء
لا أصلي إلا في المسجد، ولا أصلي النوافل
متدين، وأجرؤ على ما لا يجرؤ عليه كثيرون
أنتمي للإخوان جدا، ولا انتقادهم
أحب عمرو خالد، ويُطربني جورج وسوف
لا أشاهد أكثر من الجزيرة، وأعشق عمرو أديب
غدوت "محافظا ليبراليا"– لو أن تسمية كتلك تجوز
أنا الآن خلطة شديدة التنوع لا يمكنك تخيلها إلا لو رأيتها

آذاني كثيرا ما أعلمه وكان لا يضرني ألا أعلمه
بات عسيرا أن أستمتع بمشاهدة برنامج تليفزيوني

فهذا المذيع يأتمر بأمر المخابرات..
وهذا الصحفي على صلة بإيران..
وهذا المعارض يدعي المعارضة وهو خادم النظام..
وهذه المذيعة تروج للشذوذ وتتظاهر أنها لا تفعل..
وتلك تجنبت الكلام لأن أمن الدولة هددها..
وهؤلاء الشباب يغامرون بتلقي أموال من منظمة أمريكية..
وهذا الرئيس التحرير مُسخّر لنقد الإخوان، وما يقوله ليس رأيه..
وهذا الحزب يؤوي الملاحدة..
آآآآآآه..ما كان أغناني عن العلم بأشياء كتلك
وما كان أحلى أن أشاهد كما يشاهد الناس، فلا أنا أعبأ ولا أنا يُعبأ بي!
فقدت اللذة التي يجدها الجهلة عندما يسمعون الأعيان والسادة
..أصبحت لا أرى مِن عينٍ ولا مِن سيد

اللاوعي يكشفه تداعي الأفكار الحر
..هكذا قال فرويد
لكن ما قلته لا يرضي فرويد(*) حتما
فهو تداعي أفكار معرقل..أو قل محصور
لن يعجب فرويد أني ترددت في نشر هذا
لن يعجب فرويد أني حذفت بعض الجمل
لن يعجب فرويد أني مسحت أفكارا من دماغي قبل كتابتها
كان فرويد سيلومني كثيرا على "كبتي" أفكاري

كان ليقول: هيا أخرج قبحك..عنفك..شهوانيتك..أرنا عفونة باطنك
وكنت لأقول: هر فرويد..يكفي ما قلتُ، لا أحب أن أفضح نفسي
وكنتم لتقولون له: بعد كل ما قال ويقول، تقول "كبت"؟!
لكنّ فرويد مايزال غير راضٍ

أنا أعرف كيف أسكتك يا فرويد
أنت تحب الجنس، وترى كل شيء في ضوئه
أنت مدمن كوكايين منحرف يا فرويد يا عزيزي
لكني سأرضيك..
أتعرف؟
أحيانا أظن أنه لا يكفيني إلا مائة امرأة
أو أكثر من مائة
وأنا أعرف بيني وبين نفسي..
لو أن نساء الأرض كنّ جواري لي..
لو أنهن اجتمعن صفا أمامي..
لاخترت واحدة..واحدة فقط.. ولَصَرفت الباقيات
هئ هئ..
لابد أني خيبت أملك
قلبي يا فرويد يا حبيبي قلب لا يتسع إلا لواحدة
..واحدة تملكه
..واحدة تستعبده

..واحدة يظن الناس أنه سيدها، وهي سيدته
تعرف يا فرويد؟
أود لو أساعد يوما حبيبتي في غسل رجلها
وأن أقبّل أصابـ..
إ..مـ..ماذا تقول؟!
ألا تجد هذا رومانسيا؟!
أبعدك الله..
عرفتُ أنك –يا أحمق– ستعطي لهذا تفسيرا رهيبا يجعلني صاحب ميول شاذة
لا..لن أكمل
أنت لا تستحق أن تعرف أكثر..كفاك ما سمعت

أوووه..
انتهيت من الشاي
لا أعرف ماذا كتبت بالضبط
لو كنتم من قرائي، فأنتم تعرفون ماذا يفعل الشاي بدماغي
فلا تلوموني ولكن لوموا الشاي
سأذهب الآن لأنام
وليكن غدا ما يكون
والسلام

هوامش

(*) سيجموند فرويد: طبيب نمساوي شهير أسس علم "التحليل النفسي".. وكل الإشارات الواردة بحقه هنا مبنية على حقائق تاريخية حتى إدمانه الكوكايين، وتفسيره كل شيء -حتى الدين- في ضوء الجنس.

صدّقوني.. لن أنتحر الآن

ساحاول ألا أكون سخيفا
سأتجنب العبارات التقليدية
لن أقول لكم: أنا أشعر بغربة
ساحاول أن أبتكر
سأقول مثلا: أنا أشعر بالجوع.. وبالبرد
هذه ليست مبالغة
أنا أشعر بجوع وبرد دائمين
والحياة أصبحت بلا إثارة
لا..لا تخافوا..لن أنتحر الآن، فمازال بي شيء من أمل
الاكتئاب نال مني...أكيد
والمخدرات لا تبدو اختيارا سيئا لمن حالهم حالي...صحيح
لكني –اطمئنوا– لن أنتحر الآن
أنا محروم
أنا معطل
أنا مكبوت

أنا مجمد
لكني –تأكدوا– لن أنتحر الآن

أنا محروم من النضال
محروم من معركة كبرى تستنفدني
وانتمائي للإخوان لا يسعفني
الجماعة تتجنب الصدامات، فلا يوجد نضال لأمثالي
قليلون في جماعتي هم من يعانون ويخوضون معارك مهمة
أنا في قاع الجماعة، والقاع بارد راكد
التلف يتراكم بي حيث أنا
أنا أتيبّس هنا، وأخشى أن تأتي المعركة يوما فأعجز عن القيام لها
حتى الإخوة الأعزاء في أمن الدولة خذلوني... [1]
أنتظر مداهمتهم منذ تسع سنين على الأقل، ولا يأتون
هم أيضا يعرفون أن القاع كئيب غير مهم
لابد أن ركلة أو لطمة منهم ستبدد الكآبة وتشعرني كم أنا مجاهد وصامد
وسأغني في الزنزانة ساعتها مع كاظم الساهر: "أطلب أقلاما فلا يعطونني أقلاااام...أطلب أيامي التي ليس لها أياااام..."، وأشعر كم أنا بطل.
لكن حتى هذا لا يحدث
أنا أفتقر إلى تهديد...أحتاج إلى خطر
ينقصني عدو أفرّغ طاقتي في معاداته
أشياء كهذه يقتات عليها الإنسان، ويشعر بها أنّ له معنى

لكنّ اختيارات جماعتي (التي أوافق عليها) جعلت قسما صغيرا من الجماعة في حالة اشتباك.
بينما الأغلبية في القاع في حالة تأهب خفيف ويخوضون معارك موسمية لا تكفيهم، فيصرفون فائض طاقتهم في مشاكسات بينية.
لذا أشعر بفراغ
ملل غير عادي يلتهم روحي
لكني -والله العظيم- لن أفعلها...لن أنتحر الآن

أنا محروم من الأشباه
لا أحد هنا مثلي
لا أحد هنا يفهم كلامي
القاع يتكاثر فيه من يحفظ ولا يفهم
وأنا أفهم...أفهم مبكرا... وأكره الحفظ
ومن يفهم مبكرا لا يختلف عمن يفهم متأخرا...كلاهما يُتهم بالغباء
أشعر أحيانا أني أظلم "الحَفـّيظة" حين أكلمهم عما لن يفهموه
لكنهم جيراني في القاع، ولا أجد غيرهم لأكلمه
حتي في شغلي...
في الشركة التي أعمل بها ثلاثة عمال أحب مجالستهم جدا: "فوزي" فني الكهرباء، و"سيد عضلات" ميكانيكي الهيدروليك، و"يوسف" حارس الأمن.
ريفيون ظرفاء هم

أحضر لهم الجريدة كل يوم
أناقشهم ويناقشونني في كل شيء: سياسة، دين، كرة.. وكل شيء
وحين يحتدم الجدل...
حين يتحفونني بآرائهم الممعنة في التقليد والتحفظ...
حين أنزل بثقلي إلى ساحة الكلام والأخذ والرد...
حين أقرر الاضطلاع بمهمتي المقدسة التنويرية الإصلاحية إلخ إلخ...
حينها أرى نظراتهم المندهشة غير الفاهمة
ولولا الأدب لقالوا: "الجرايد اللي أستاذ أسامة بيقراها لحست دماغه! "
للأسف...
أصبحت أفهم كثيرا مما لا يفهمه مجتمعي
ومن هم مثلي يكونون في مجتمعاتهم "نخبة"...أو "منبوذين" !!
أنا أشعر أني وحيد
أشعر أني غير آمن (Exposed)
ورغم ذلك...
لكم عهدي أني لن أفعلها...لن أنتحر الآن

أنا مصدوم...
أشياء كثيرة كنت أقدسها، ثم اكتشفت أنها معيبة غير كاملة
التقديس والتعميم جنتان ينعم فيهما الجاهل..مطرودٌ منهما من يفهم
أصبحت أفرز وأفكك وأحلل... وهذا -يا من لا تعرف- عذاب

وعطشان...
أفتقد الأنثى في حياتي
وكلما اقتربَت مني واحدة وبدأت تتعلق بي..أنسحب
أقول لنفسي: "أنا مـحـتـرم.. وطالما مش جاهز للجواز، يبقى أبعد"
لكنّ حالة "الاحترام" هذه مؤلمة..مؤلمة فعلا

وحزين...
أحتاج إلى العطف
لكني لا أجده..لأني أبدو قويا لا أحتاج أشياء من هذا النوع
أحيانا أشتهي أن يربت أحدهم على ظهري ويقول: "ماتزعلش، ولا يهمك"
لكني لن أظفر بهذه التربيتة ما لم أتخلّ عن تماسكي الظاهر

باختصار يا سادة...
أنا أمرّ بمرحلة صعبة
لكني أنتظر تغيرات سعيدة قريبا إن شاء الله
لذا...
أعدكم أني لن أفعلها...لن أنتحر الآن

هوامش

(١) طلبوا زيارتي في مقرهم بعد نشر هذا الكتاب، وكانت زيارة هادئة استمرت سبع ساعات.. وتفاصيل هذه الزيارة منشورة على مدونتي، وعلى الصفحات الخاصة بي على فيس بوك.

في غابة الشك

أجرت معي جريدة الدستور حوارا مطولا . بعض الأفكار الواردة فيه لم تعجب أحد القيادات الدنيا في الجماعة، فقرر تجميد عضويتي . علم د.عبد المنعم أبو الفتوح بهذا القرار العصبي الغريب وقرر أن يتدخل، وتسرّب الخبر للصحافة، وأراد د.محمود حسين –الأمين العام للجماعة– أن يتدخل . وانتهى الأمر بقرار من مسئول الإخوان بالمحافظة بإلغاء قرار تجميد العضوية لتطويق الأزمة إعلاميا، هذا القرار الذي اتخذه شخص قليل الدراية وتسبب في فضيحة للإخوان وأظهرها جماعة لا تقبل الرأي ولو صدر من أحد أبنائها. ثم نشرت اليوم السابع أنه عندما علم المرشد العام بهذه التطورات أصدر أمراً بعدم تجميد عضوية أي عضو بالجماعة بسبب رأي إلا بإذن منه. وفي هذه الأجوار كتبت مقطوعة الكآبة هذه:

أكتب كلاما جيدا عندما أحزن
لكنني غير حزين
أنا اليومَ... مضغوط
فلا أعرف ماذا سأكتب الآن
صدري فيه سخونة

أعصابي تأبى أن تسترخي
منتبه جدا.. وإلا أفلت مشروعي مني
فالمتشككون يريدون هدمي
والمستغلون يريدون أن يركبوني
لكني مستقيم
أرى حلمي.. وأسير نحوه لا أتعرّج

هذا كرهني...
لكني لا ألتفت
وهذا نهَشَ مني نهشة...
لكني لن أرد عليه أذاه
وهذا يتربص بي، ولو وثب عليّ لطحنني...
لكني أمضي، وكأنني لا أعلم بوجوده
إنما أقول الذي أراه حقا
فالوطن أهم لديّ من الجماعة
والله أخْوَفُ عندي من النظام

أخوض غابة الشك وحدي
لا رفيق لي
لا أخشى فيها إلا الله والاكتئابَ على نفسي
ربما يمرّ يومي ولم أسمع كلمة دعم واحدة

فههنا –في غابة الشك– الكل يدافع ولو لم يتوفر تهديد
أقرر وأتحرك...وحدي
ولو سقطتُ فلن يُقيمني أحد
ولو لم أسقط، سيقال: لِمَ لَمْ تستأذن؟
ولو استأذنتُ فلن أجابَ قبل شهر، وستأتيني الإجابة أنْ لا
فههنا –في غابة الشك– من يقول: لا، يبدو أكثر حكمة

سأتعاون مع الكل...
ولو مع الذين اعتدنا أن نعتبرهم أشرارا
لن يدعوَني أحدٌ لما فيه مصلحة وحق إلا أجَبتُه
وسأصون كرامتي...
فلن أغيّر رأيي من أجل أحد
ولن أنكتم خوفَ أحد
لن أكون إلا أنا
صحيحٌ أنني أحتاج مُمَوّلاً وراعياً .. لكنّ كرامتي عندي أهم
فلن أعيش في الدنيا إلا محترما
سأكون سيدا كريما في الأرض وفي السماء..إن شاء الله

جماعتي أهلي
وسأكون رفيقا بأهلي
أعلم أن بعض كلامي يوجعهم

ولو أعلم أنه يسَعُني السكوت لسكتّ
غيرَ أنّ الوطنَ غالٍ، والإسلامَ أكبر من جماعة
أعرف فضل أهلي عليّ
وأعزو لهم ما فيّ من خير
فلولاهم ما أصبحتُ ما أصبحته
وإني مُتبعٌ ما علمني إياه أهلي: ... أقول الحق بأرقّ لفظ، لا أعادي أحدا،
ولا يستخدمني أحد

آآآه
أشعر الآن أني صافٍ خفيف
وأجد في قلبي حزناً شفافاً غيرَ مُرهِق
الحزنَ الذي يجعلك وقورا عميقا
الذي يجعلك تسترخي.. وتبصر.. وتبدع.. وتكتمل
حزنَ المنهَك الوحيد..الذي يعرف أنه يقترب
صدري بَرَد
وأعصابي هدأت
الكتابة متعة وراحة
لا حَرَمَني الله منك يا قلمي

جنس.. جنس.. جنس

أحب جو الليل في هذا الوقت من السنة
نسمات لطيفة، وقليل من البرد
هذا آخر الليل...
أحب صلاة ركعة وحيدة في هذا الوقت
لكني الليلة سأكتب
وعسى ألا يكون ما أكتبه شريرا جدا
!!

المثير الجنسي غدا جزءا من أي عمل إعلامي
!!
فالمسئول بالبعثة السعودية لدى الأمم المتحدة تحرش جنسيا بها – كما ادعت.
ولمزيد من الدقة..
دأب على التحرش بها
فاشتكته هي لمحكمة مانهاتن الفيدرالية

..هذا ما روته الموظفة بالبعثة
وهنا يمكن أن ينتهي الخبر
لكن الصحفي[1] أبى إلا أن يجعله درسا في فنون التحرش
ليخرج القارئ بعظة أخلاقية مهمة جدا: ...
إذا أردت —عزيزي القارئ— أن تتحرش جنسيا بزميلتك...
..فاعتصر ثديها
.. واقرص فخذها تحت طاولة الاجتماعات
.. وأرسل لها صور الجنس الفاحش العنيف[2]
.. ولا تنس أن تطلب منها أن ترضعك
!!!
الخبر روته جريدة دولية محترمة
وسرْد تفاصيل الخبر "ضرورة مهنية"
لكن..
هل كان الصحفي سيهتم بإيراد تفاصيل دعوى السيدة بهذه الدقة لو كانت أقل إثارة؟ (ربما كان سيهتم)
وهل تتبع الحقائق المثيرة "شطارة صحفية"؟..أم "سقوط أخلاقي"؟
لا أعرف..حقا لا أعرف

أغضب..
وإذا غضبت كتبت
وكلما عظم غضبي، كان كلامي أقوى وأجرأ

وأظنها ليلة غضب
.. وإلا فما هذا الذي أقول؟
!!

المشاهد الجنسية في "عزازيل" [٣] كثيرة
خمسة فصول من الزنا المتواصل
زنا يتخلله-أحيانا-حوار..فقط لتبقى الرواية رواية
شخصية "أوكتافيا" قامت بأدوار لا داعي لها تقريبا
دخلت لتؤدي فواصل من الفحش المكثف ثم رحلت
الكاتب يعرف أن روايته لا تتم -كما هو العُرف- بغير "المكون الجنسي".
وهو -ما شاء الله عليه- لم يبخل و لم يقتصد
!!
ولي هنا سؤال...
هل أعدّت هذه المشاهد لتثير الرجال فقط؟
أم أن هذا يعجب النساء أيضا؟
هل تحب الأنثى مشهد المرأة الجامحة الشَبِقة التي تكون البادئة غالبا؟
أم هذه المشاهد أنتجها مجتمع ذكوري لا يراعي ما تفضله الأنثى؟
هل تحب النساء تيمات أخرى؟
..تيمة الحار المندفع الذي يدير الأمر برمته وينتهك شريكته انتهاكا مثلا؟
ابن خالتي مدير مشروعات[٤] بشركة بحوث تسويقية...

سأسأله إن كانوا أجروا بحثا بهذا الشأن من قبل
لابد أنهم لم يجروا مثله في مصر، فلا يوجد هنا من يجيب(٥) أسئلتهم تلك أبدا.
!!

يا ربي..
ما هذا الذي أكتب؟
أهو الليل وجنونه؟
..متى تنتهي هذه الليلة؟

صديقي نسي الـ فلاشة عندي
هو صديق الطفولة..
لكن ذوقه فظيع فعلا فيما يتعلق بالأفلام الجنسية
هذا ما تخبرك به محتويات الـ فولدر ذي الاسم غير المريب داخل الـ فلاشة
الـ فلاشة تحمل اسم أنثى، فهل يعني لكم هذا شيئا؟
ربما كانـ...
لا..لا..دعونا لا نسئ الظن أكثر بالفتى الطيب
هو على وشك الزواج..
وصارحني أنه يخشى أن يكون سريع القذف
ولا أدري كيف أتاه هذا الخاطر وهو "لم يجرب" من قبل
يبدو أنه يخشى عواقب مواظبته على الاستمناء

!!

ذكرني هذا بصديق كان لا يستمني.. ومع هذا لا يحتلم

..فراوده خوف أن يكون مصابا بالعقم

.. وطمأنه جدا أن أخبرته أن لا علاقة بين الاحتلام والخصوبة

!!

هؤلاء الأعزاء تعودوا أن يكتموا أسرار حياتهم الجنسية، وألا يناقشوها حتى مع أقرب الناصحين.

ومعظمهم—إن لم يكن كلهم—يخبرأصدقاءه ما لا يجرؤ على إخباره أباه أو أمه.

وجو الكتمان والكبت هذا يُنتج انحرافات تنافس ما تنتجه الإباحية

نحن نحتاج فعلا إلى الانفتاح والجرأة

..لكن ليس على طريقة مؤتمرات بكين ونيويورك وبكين+ ١٠ (٦)

آآآه..

هذا أذان الفجر

وانتهت الليلة أخيرا

سأذهب الآن لأصلي بالمسجد

وسأشم في الطريق هواء الفجر المشبع بالأوزون

وسأعود مغسولا من آثار ليلتي

وعسى لا أذوق ليلا كهذا بعدها

هوامش

(١) أثناء عملي، وأنا أبحث في الصحف الباكستانية الناطقة بالإنجليزية عن أخبار تناولت الشأن السعودي بشكل سلبي، عثرت على هذا الخبر
.. وقد أوردته "إنترناشيونال هيرالد تريبيون" أيضا
(٢) Hard–core pornographic images
(٣) عزازيل هي عمل روائي متقن الصنع استمتعت به حقا
وقد حصلت الرواية على جائزة الـ بوكر العربية لعام ٢٠٠٩
وتلقت الرواية لاذع نقد رجال الكنيسة المصرية لتناولها قضايا وخلافات كنسية تاريخية بطريقة لم تعجب الكنيسة، ولكون بطل الرواية راهبا ربته الكنيسة لكنه لا يكف عن الشك في صحة عقيدته والوقوع في فواحش
..لكن صاحب الرواية لم يدع تيمة جنسية إلا وضمنها الرواية، و لم يهمل حتى زنا المحارم والجنس مع الحيوانات
(٤) Senior project manager at a marketing research firm
(٥) Respondents
(٦) هي مؤتمرات الصحة والسكان التي تنظمها الأمم المتحدة
نظمت أولاها في بكين في ١٩٩٥
ثم في نيويورك عام ٢٠٠٠
وآخرها كان في بكين للمرة الثانية في ٢٠٠٥ وسمي بكين+١٠
وهي تستهدف تغيير أسس التركيبة الاجتماعية لدينا وتغيير هويتنا الجنسية وذلك بدعوتها لتوفير حرية ممارسة الجنس للمراهقين، وإباحة الإجهاض، وتجريم ختان الإناث.. وغير ذلك

نفسي في شوية حاجات

نفسي في الحاجات دي..
حاجات حلوة
أو حاجات غريبة
أو مستحيلة
أو مالهاش لازمة
بس نفسي فيها
ونفسي في حاجات تانية برضه..
بس دا اللي افتكرته دلوقتي

نفسي أنام شهرين تلاتة كده متواصلين..
نفسي إسرائيل تبدأ ضربة لإيران، والمنطقة تولع..
نفسي أشوف نفسي من ضهري..
نفسي أحضر ماتش تنس لروجيه فيدرير..
نفسي ألبس بدلة معظم الوقت..
نفسي ماما يوم القيامة تقول: سيدكم هذا ابني..

نفسي أشوف نفسي من بعيد..
نفسي أحضر اجتماع لـمجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر..
نفسي في السلطة الروحية والوجاهة، والفلوس مش مهمة خالص..
نفسي أتجوز –مش بكرة– امبارح لو أمكن..
نفسي آكل "سوبر برجر" من عند هارديز..
نفسي أعاتب سيدنا عثمان بن عفان لأنه مارضيش يقاتل الخارجين عليه..
نفسي أبطل أكتب..
ونفسي –في نفس الوقت– أفضل أكتب..
ونفسي اللي بكتبه يتنشر ويقراه ألوف..
نفسي محدش يعمل فيها محلل نفساني ويتخيل انه فهمني لما قرأ الحاجات دي..
نفسي أفضل طول عمري في مصر..
نفسي أشوف في الحقيقة كل اللي عرفتهم عالفيس بوك..
نفسي أشوف نفسي وأنا بتكلم..
نفسي أحضر خطبة لـ حسن نصر الله..
نفسي عمري يبقى قصير ومجيد – ولو طويل مش مشكلة قوي يعني..
نفسي أبوس كل اللي بيحبوني – بس ممكن آخد ذنوب كتير كده..
نفسي أعتكف الـ ١٠ الأواخر في رمضان الجاي..
نفسي أنساني شوية..
نفسي في حاجات مقدرش أقول ان نفسي فيها..

نفسي أجيب "بيرفيوم" جديد-عطر يعني لا مؤاخذة..
نفسي أخطب الجمعة كل أسبوع..
نفسي أعمل عمرة-بس مش في رمضان..
نفسي أخلص المقالة دي قبل ما أقول حاجةماينفعش تتقال..
نفسي ألعب كورة كتير زي زمان..
نفسي أزعق لما أتعصب – بدل الكلام الرهيب اللي بقوله بهدوء وأنا متنرفز من جوه..
نفسي أشوف تجربة "أردوجان" -رئيس وزراء تركيا- آخرها ايه..
نفسي أشرب كباية شاي مع معمول..
نفسي ألبس نضارة -مش عارف ليه- رغم ان نظري ٦/٦ الحمد لله..
نفسي أكتب في صحيفة مهمة بانتظام..
نفسي أشوف فيلم حلو أندمج فيه، ويكون جنبي حد بحبه..
نفسي أجيب منبه يصحيني زي زمان-بدل الموبايل..
نفسي أدرس حاجة تنفع على إيد ناس بتفهم، وأذاكر بقى وكده..
نفسي أظهر في "العاشرة مساء" – بس لوحدي، مش ومعايا ضيوف تانيين..
نفسي أشتري موبايل جديد – بس مش غالي..
نفسي أعيط شوية، مش فاكر آخر مرة عيطت فيها كانت امتى..
نفسي أعيش شهر مع "حسني مبارك" أتعلم منه كام حاجة كده..
نفسي أناقش قرائي واحد واحد وأعرف رأيهم بالتفصيل..

نفسي أصلي التراويح السنة دي ورا شيخ صوته محصلش..
نفسي أساعد حبيبتي مرة وهي بتغسل رجلها..رومانسي أنا، مش كده؟
نفسي أبطل أكل خالص كام يوم كده..
نفسي اسمي يبقى كفاية لوحده في أي موضوع..
نفسي أتعزم عند "حد معين" رمضان الجاي ده..
نفسي كل الستات تحبني، وأنا أحب واحدة بس..
نفسي أعمل حاجة جديدة في عيد ميلادي الجاي ده..
نفسي أدخل الحمام دلوقتي..
نفسي أشوف مسلسل كامل في رمضان – من ١١ سنة ماعملتهاش..
نفسي آكل جمبري مسلوق مع رز وطحينة..
نفسي أعمل حاجة عيب – مش هقولكم ايه هي طبعا..
نفسي أضرب صاحبي اللي اتأخر عليا وسايبني قاعد أكتب الكلام ده..
نفسي ألاقي الزعيم اللي يستحق اني أهتف عشانه..
نفسي ربنا مايكونش زعلان مني، أنا ماكانش قصدي..
نفسي أخلف ولد جميل مكلبظ – بس بعد سنتين من الجواز مثلا..
نفسي ماتعرّضش للتعذيب في حياتي أو في الآخرة..
نفسي أقرأ كتير – أصلي بقرأ قليل جدا..
نفسي أبطل هزار كتير أنا واصحابي، حاسس ان الجد بيليق عليا أكتر..
نفسي الناس ماتظلمش البنت لما تغلط غلطة، ما هي بشر برضه..
نفسي معبر رفح يتفتح، وحكم حماس في غزة يستقر..

نفسي أحب الفلوس شوية عشان أعرف أشتغل..
نفسي أسمع خطبة جمعة كويسة بقى..
نفسي أقابل واحد من قرائي من غير ما يعرف اني أنا، وأسمع رأيه فيا..

يااااه..
يا حلاوة يا ولاد..
كل دي حاجات نفسي فيها؟
لما بدأت أكتب، ماكنتش أعرف اني هقول كل ده
يلا..ربنا يحقق الأماني

حتى الإخوان يقعون في الحب

الرجل أضعف من أن يقال له: "بحبك" ولا يهتز
ولا يوجد من لا يفرح عندما تصر مغامراته القديمة ألا تنتهي
... حتى لو كان من الإخوان المسلمين

سمسم العاطفي

هل للأمر علاقة بالتستوستيرون[1]؟
لا أظن ذلك
فقد بدأ سمسم –الذي هو أنا طبعا– مغامراته قبيل ممارسة التستوستيرون عمله

نعرف أن سطوة التستوستيرون بدأت حينما تطول قامة "الولد" ويصبح أطول من أمه.
حين تنمو على وجهه شعيرات سيصبح اسمها يوما ما لحية.
حين يصبح صوت "الولد" خشنا لا يطاق كصوت ضفدعة في ليلة شتاء طويلة.
حين تقوى عضلاته بشكل يفاجئه هو شخصيا
..فتصبح قفزته أعلى
.. وتغدو ضربته لأخته الصغيرة أقوى من اللازم
.. وتتهشم على يدي "الولد" – الذي لم يدرك بعد حدود قوته الجديدة– أشياء لم تكن تتهشم من قبل.

.. وتصارحه أمه عندئذ أنها تود أن تهشم هي رأسه منعا لمزيد من الخسائر.
حينها يصبح "الولد" ذئبا صغيرا لم يعرف أهله بعد أنه ذئب!
ويبدأ بالاهتمام بالكرتين الصغيرتين اللتين نشأتا على صدور البنات و لم تكونا هناك من قبل.
ويجيد اختلاس النظر إلى ما تحت وما فوق الركبة.

لكن سمسم لم ينتظر التستوستيرون ليبدأ صولاته وجولاته
لم تكن عُدة سمسم كذكر قد اكتملت
لكنه كان يملك ما يكفيه ليبدأ
أو على الأقل ليحاول
وكان التليفزيون زادا كافيا ليبدأ سمسم رحلته..حتى من قبل أن يأتيه مدد التستوستيرون.
ولقد سعى هذا" الوغد الصغير" لهذه الأشياء كما ينبغي لوغد.. وكما ينبغي لصغير.
وربما كانت بدايات سمسم المبكرة هذه سببا في اعتزاله المبكر.
فالمقربون من سمسم يعرفون أنه كف عن أن يكون وغدا منذ زمن ليس بالقريب.

الناس في كل عصر يحبون
ولكل عصر في الحب أساليب...

فتارة يتعلم الناس أساليب الحب من شعر الشعراء

.. وتارة من حكايا القصاصين

.. وتارة من مزامير المغنين

.. وتارة من روايات الأدباء

..أو مشخصاتية المسارح

..أو أفلام السينما

أو...أو...أو...

حتى أني لا أعرف –مثلا– من أين أتى الناس بفكرة التقبيل من الفم

تعرفون حتما هذه الطريقة في التقبيل بمص الشفاه

نعمّ؟!

لا تعرفونها؟!

كفى أرجوكم..لقد رأيتموها عشرات المرات في الأفلام

لا تتظاهروا بالغباء وأجيبوني...

تُرى هل نقلت الأفلام هذه القبلة من حياتنا إلى الشاشة؟

..أم الشاشة علمت الناس أن يقبّـلوا بهذا الأسلوب؟

حتى أن الناس يسمّون القبلة على الخد "بوسة أخوية"– ماتتحسبش يعني

ولو كان البطل في الفيلم يقبّـل حبيبته على قفاها

لكان كل عاشق قبل –باس يعني– حبيبته على قفاها

إ..إحم..على أي حال دعوكم من هذا الآن

باختصار يا سادة..لقد استفاد سمسم من أساليب عصره أيما استفادة

كان سمسم نبيلا في مغامراته تلك
فلم يؤذِ يوم كان يمكن أن يؤذي
و لم يتلوث يوم كان يمكن أن يتلوث
وكان أريبا يعرف متى يتجاهل ومتى يبدي الاهتمام
لم يلاحق يوما الفتيات في الشوارع بعينيه أو معاكساته
لأنه كان يرى هذا الشغب دناءة هو في غنىً عنها
ولأنه كان يعرف طرُقا أفضل لإشباع حاجاته وإرواء عطشه

يؤمن سمسم أن جمال الرجل في لسانه
وأن التموضع(٢) الصحيح هو كل ما يلزم لتفوز بفتاة
وأن كثير "اللعب" قبل الزواج يخصم من سعادة ما بعد الزواج
وأن الناس إلى الله مردودون، وسيحاسبهم على "لعبهم" وغير اللعب
فإما يصرفهم إلى نار.. أو إلى جنة

هوامش

(١) التستوستيرون: هرمون يؤثر على التطور والخصائص الجنسية – قبل البلوغ يكون مستوى هرمون التستوستيرون منخفضا – في سن البلوغ يزداد مستوى التستوستيرون ويسبب نضج الاعضاء التناسلية وإنتاج الحيوانات المنوية وتطور الخصائص والصفات الجنسية كنمو شعر الوجه والجسم وكبر العضلات وعمق أو خشونة الصوت

(٢) التموضع هي أسوأ ترجمة ممكنة لكلمة Positioning

In marketing، POSITIONING is the process by which marketers try to create an image or identity in the minds of their target market for a product، brand، or organization.

وبعد هذه "الفزلكة" يمكن القول بأن "التموضع" هو رسم الصورة بعناية

سمسم العاطفي يتديّن

عندما يلتزم الفتى الصغير دينيا وهو غارق في الحب
عندما تتعارض التزامات الدين وأوامر التستوستيرون
ما زلتم تذكرون "التستوستيرون"[1] طبعا
إنه ذلك الشيطان الساري في أجسام المراهقين فيجعلهم شبانا ممشوقي القوام أقوياء العضلات ويأمرهم بكل ما لن يسمح لهم المجتمع بعمله إلا بعد سنين.
.. ولايردع هذا الشيطان إلا الدين
عند هذه النقطة يبدأ "سمسم" حواره الثالث معنا
طبعا أصبح مملا أن أذكركم كل مرة أن سمسم هو أنا
فقط حاولوا ألا تخبروا أحدا بذلك
هيا.. تعالوا نحكِ جديد ما سمح لنا سمسم بنشره

في لحظة ما...
آنسَ سمسم في نفسه وحشة لم تدفعها عنه مغامراته
معظم الشباب –بخلاف البنات– مروا بهذه اللحظة القاسية

اللحظة التي لا يغني عن الشاب فيها اللهو ولا الترفيه ولا ما يعطيه إياه أهله شيئا.

و لم يجد سمسم شيئا كالدين يعطيه الأنس والأمن

فأحب سمسم الصلاة في المسجد..

حتى أنه أصبح يستثقل الصلاة منفردا

وهو حتى يومنا هذا يصلي -في المتوسط- أربع صلوات من الخمس في المسجد.

أصبح سمسم آنذاك من مستمعي مشاهير شيوخ السلفيين

ومازال يتذكر شريط "حين يذوق المؤمن حلاوة الايمان"[٢] لمحمد حسين يعقوب

وفيه تكلم الشيخ عن "الملتزم" الذي لم تثبت له قدمٌ بعدُ في "الالتزام"[٣]

وكيف تلاحقه غرامياته التي كانت نسيته قبل هذا الالتزام

وقد كان

!!

كلام الشيخ كان وكأنه إنذار أو نبوءة

فمغامرة قديمة عادت من جديد

.. وهيّجت لدى سمسم ما كان ساكنا من مشاعر

.. وأحالت صفاء نفسه إلى فوضى وارتباك

واشتد الصراع بين متطلبات التدين واستحقاقات المراهقة

في ذات الوقت..زادت ضغوط أسرة سمسم عليه ليخفف تديّنه

فبابا وماما يخافان عليه تعرّضه لملاحقات[٤] من أمن الدولة

فأصبح الشاب الغض بين المطرقة والسندان
..مطرقة فتاته التي تلح لتأخذ مكانها في حياته
.. وسندان ضغوط البيت التي لا تفتر
وكم ود الفتى الطري لو تركوه وشأنه..!
لكن لا البنت يهدأ بكاؤها وتنسى سمسم فتاها الذي تغير
ولا بابا وماما تسكن نفساهما ويطمئنان على ابنهما
ولا يذكر سمسم على وجه التحديد كيف انتهى هذا الموقف
لكن الله أعانه...
فيبدو أن من حوله اقتنعوا أنه لن يتغير لمجرد أنهم يريدون ذلك
فابتعدت البنت قليلا إلى حين
وبدأ والدا سمسم" يعتادان من ابنهما سلوكه الجديد
..لكنّ هذا لم يمنع تكرار نفس المشهد أكثر من مرة بعدها
!!

هذا الأزمات لا وجود لها على شاشات السينما أو التليفزيون أو في الروايات.
رغم أن مجتمعنا يعرف هذا النوع من المشاكل منذ ٣٥ سنة على الأقل.
منذ بدأ ما نسميه "الصحوة الإسلامية" في منتصف السبعينيات.
ويبدو أن صانعي الأفلام لا يرون في الواقع المصري إلا الشذوذ الجنسي.
ولابد أن قطار حياتهم لم يمر يوما بمحطة التدين.

وإلا كانوا رأوا نوعا جديدا من قصص الحب تنحسر لصالحه قصص الحب التقليدية

الرجل أضعف من أن يقال له: "بحبك" ولا يهتز
وأضعف من أن يرفض طلب فتاة تبكي أمامه راجية
ولا يظن سمسم أنه يوجد من لا يفرح عندما تصر مغامراته القديمة ألا تنتهي حتى لو كان من الإخوان المسلمين.
ولأنه أصبح يدرك هذه الأشياء جيدا...
ولأنه أصبح مستشار كثير من أصحابه في قصص حبهم السرية...
فإن سمسم لا يوصي أصحابه بفسخ ارتباطاتهم العاطفية –وبعضها يكون خطيرا– إلا نادرا... يشفق عليهم من هذا القرار
ويتمنى لو انتهت كل قصة حب يسمعها نهاية سعيدة
ويظن سمسم أنه كان أجدرَ بأساتذته في الإخوان أن يوصوه أن يبقي خيطا رفيعا بينه وبين بعض مغامراته لعل النهاية السعيدة تأتي.
ويشتهي سمسم أن يصادف حبا جديدا يكون أحلى ما عرف وخاتمة المغامرات

هوامش

(١) التستوستيرون: هرمون يؤثر على التطور والخصائص الجنسية – قبل البلوغ يكون مستوى هرمون التستوستيرون منخفضا – في سن البلوغ يزداد مستوى التستوستيرون ويسبب نضج الاعضاء التناسلية وإنتاج الحيوانات المنوية وتطور الخصائص والصفات الجنسية كنمو شعر الوجه والجسم وكبر العضلات وعمق أو خشونة الصوت.

(٢) لا يعرف "سمسم" هل كانت هذه الأشرطة ممتعة حقا أم أنه كان مستعدا في هذه الفترة لقبول كل ما يقوله شيخ.. مع العلم بأن سمسم ترك فيما بعد طريقة واختيارات "السلفيين" الذين ينتمي لهم الشيخ.

(٣) الالتزام: كلمة تعني "التدين" عند أهل التيار الديني – و"الملتزم" تعني المتدين.

(٤) الحمد لله مرت عشر سنين لم يتعرض فيها سمسم لأي مضايقة أمنية، رغم أن احتمال حدوث هذا كان ومايزال قائما وهو الذي لا يكف عن ترديد أنه عضو في "الإخوان المسلمين" طول الوقت وكأنه يتكلم عن عضوية النادي الأهلي.

سمسم العاطفي في الجامعة

يبدو أن سمسم أدمن الكلام عن مغامراته
فبعد أن كنا نستنطقه بصعوبة، أصبح لسانه مصابا بإسهال كلام مزمن يعلم الله متى يُشفى منه.
آمل أنكم ما زلتم تذكرون أن سمسم هو أنا
وأنكم لم تخبروا أحدا بذلك كما طلبت منكم
يحكي لنا سمسم هذه المرة لمحات من حياته العاطفية أيام الجامعة
لم يكن سمسم يظن أن عنده الكثير ليحكيه عن تلك الفترة
لكن بالتنقيب في ذاكرته وجد أن لديه ما يكفي
وحكى لنا...
و لم يكن ما حكاه غاية في السوء
ليس أسوأ مما سمعناه منه من قبل على أي حال
الآن هيا...
تعالوا نسمع هذا المشاغب...
علها تكون المرة الأخيرة التي يُصدّع فيها رؤوسنا بقصصه

كان سمسم دوما أقرب إلى الصفوف الخلفية في قاعة المحاضرات
فقد كان طول حياته يكره أن يبدو كالطلبة المجتهدين، حتى أنه لم يُشاهَد
أي كشكول في يد سمسم في الكلية طوال ثلاث سنوات، بل كان يكتب
المحاضرات في وريقات يحملها في جيبه
كما أن البنات في دفعته اعتادوا احتلال الصفوف الأمامية
ومن موقعه الخلفي هذا..
وفي عامه الأول بالجامعة..
كان يستطيع أن يرى آخر مشهد أراد المسكين أن يراه
مشهد أحلى بمجموعة من شعور البنات
شعور لامعة..متعددة الألوان..معالجة بعناية[1]
أحس سمسم أن أيامه في الكلية ستكون سوداء
.. وأن أسوأ كوابيسه على وشك أن يتحقق
..أو هو تحقق بالفعل
صحيح أن هذا المشهد تغير لاحقا ،حتى أصبح لا يكاد شعرٌ مكشوفٌ
يُرى في الدفعة في السنين التالية...
لكنّ سمسم الذي كان عرف التدين حديثا لم يتكيف بسرعة
خشي سمسم أن تكون فترة الجامعة امتدادا لعهد المغامرات!!

من شاهدوا سمسم مع فتاة في الجامعة قليلون
أحد هؤلاء كان د.عصام[2] أستاذ الاقتصاد
فبينما هو يغادر الجامعة...

وعند البوابة الرئيسية...
رأى الدكتور سمسم مع بنت في وقتٍ خلت فيه الجامعة من الطلبة تقريبا
وكان ذلك في عام سمسم الأول بالجامعة
نظر لهما نظرة طويلة
أحس سمسم أنه عرفهما
ولابد أن د.عصام قال لنفسه: "دول لسه في سنة اولى!..احنا لسه في أول شهر!..عرف يظبطها امتى ده؟!" (٣)

لا ينسى سمسم عندما بكت بنت بين يديه مرة في الجامعة
تكهرب الجو ساعتها
وأصبح "سمسم" في موقف لا يحسد عليه
وتلقى من المارين أفظع نظرات الاتهام
نظرات معناها: "أيها الوغد!..ماذا فعلت بهذه المسكينة يا لعين؟!"

وذات مرة...
ضُبط سمسم متلبسا يحادث فتاة في الجامعة
هذه المرة كانت من قِبل مسئوله في الإخوان
وهذه جريمة كبرى –كما لابد أنكم تفهمون– في عرف طلاب الإخوان.
ليس فقط لأنهم ملتزمون دينيا..
ولكن أيضا لأنهم شخوص يُقتدى بهم

ولا يقبل الناس أن يتحدث القدوة لفتيات..لا بخير ولا بشرّ
لكنّ مسئول سمسم كتم الخبر، و لم يواجه سمسم بذلك
...حتى أخبر سمسم مسئوله من تلقاء نفسه بالقصة كاملة

هذه القصص وغيرها في الحقيقة لا تعني الشيء الكثير
فمن عرف سمسم في هذه الفترة يعرف أنه أحكم إغلاق أبوابه
وكان حاسما..
صلبا..
وأحيانا قاسيا
يندم سمسم أحيانا على ما بدر منه من جفاف وشدة
لكنه يعلم أن شيئا من التراخي كان كفيلا بأن يجعله يسقط سقطات كبيرة.
وكانت القوة والحزم تَفرُطان من سمسم -أحيانا- دون أن يقصد
فذات مرة وبينما سمسم مع الزملاء أمام جدول امتحانات الميد تيرم...
اقتربت منهم إحدى البنات وكلمت صاحبا له
ثم سلمت على سمسم: ازيك يا سمسم
..فلم يرد سمسم
فأعادت: ازيك يا سمسم
..فلم يرد سمسم
فقالت: يعني مش ها ترد؟؟
..فلم يرد سمسم

..فانصرفت البنت

هذه البنت كانت "صاروخ"[٤]..صاروخ أرض – جو برأس نووية

أعني أنها لم تكن من النوع الذي يمكن ألا ترد عليه

المشكلة هنا كانت أن سمسم..فعلا لم يسمعها

هئ هئ هئ

هوامش

(١) كما كانت العطور الحريمي تمثل مشكلة أيضا لدى "سمسم"
ولا أدري لماذا تذكرت الآن "فؤاد المهندس" ومشكلته مع الأحذية الحريمي في الفيلم
ماذا كان اسم هذا الفيلم؟

(٢) عتاد "سمسم" النوم في محاضرة د.عصام
يبدو أن أداءه لم يكن شيقا بدرجة تكفي ليحتفظ "سمسم" بعينيه مفتوحتين أثناء الشرح
ويذكر "سمسم" ببالغ الأسى كيف أيقظه د.عصام ذات مرة من "أحلاها نومة" وطرده
من المحاضرة D:

(٣) كلمة لن تجدها قطعا في أي معجم..إلا لو كان "ابن منظور" ألف قبل موته معجما سماه "لسان المصريين"—على غرار "لسان العرب" المعجم الشهير—ولابد أنه قال فيه: "مادة ظ – ب – ط، ظبط الشاب البنت: أي علقها، وتعني نال إعجابها عند الشباب المصري البايظ ("بايظ" تعني "تلفان" ومش نافع، انظر مادة ب – و– ظ).. ونوع العلاقات الذي يسمى "تظبيط" عادة ما يكون عابرا ويتلاعب فيه الشاب بالفتاة"..انتهى بتصرف

(٤) أغلب الظن أن جد هذه البنت الرابع أو الخامس كان جنرالا إنجليزيا وسيما خدم بمنطقة القنال إبان الاحتلال البريطاني ثم أسلم وتزوج بمصرية لابد أنها كانت بارعة الحسن أيضا يمكن البحث طبعا عن معنى "صاروخ" في مادة "ص – ر – و– خ" ولابد أن ابن منظور قال في تفسيرها: "صاروخ" تعني رائعة الجمال، وهي كلمة يستخدمها نفس الشباب البايظ (راجع مادة ب – و– ظ) عندما يشعر بالانبهار بفتاة

حب حارق

هي تعجبك
دعنا نكن أكثر دقة: ... هي تثيرك
وأنت عطشان..تشتهي الحب الفوّار غير المهذب
وهي تعطيك هذا الفوران، وإبداعاتها في إغرائك ممتازة
هو ليس إغراءً بالضبط..
لكنها تبقي الباب مواربا دائما بشكل يلهب أعصابك
وأنت لا تمانع
في الحقيقة أنت تستمتع
هي تغامر
وأنت أيضا تغامر
كلاكما يعرف أن هذا الاقتراب اللذيذ سينتهي بمصيبة
لكنكما لا تتوقفان..على الأقل ليس الآن
لن تتوقفا حتى يلوثكما إثم...
لكنكما ماتزالان نظيفين..أو شبه نظيفين
جسداكما يقتربان كل مرة أكثر...

سيأتي يوم وتتلامسان.. وأنت لا تخشى هذا اليوم
تضاريس جسمها غير السهلة تعدك أن التجربة ستكون فوضوية رائعة
أنت فقط تخشى أن يمتنع عنك شيء من معالمها
الأمر الآن أكبر من الأخلاق والمبادئ...
فاللذة الحارقة دَنَت، وليس بينك وبينها إلا أن تمد يدك
هي لن تكون لك بالحلال.. والموانع كثيرة
لكن الحرام سهل وليست له قواعد..يكفيك أن ترغب وتقدر لتنال
متى بدأت تفكر بهذه الطريقة؟!
لابد أن سنين مرت قبل أن تلين دماغك ويتسرب إليك هذا المنطق
هل تحبها؟
لا أظنك تعرف
أنت تشعر أن ظهورها في حياتك جعلها أحلى
أصبحت تشغل من يومك رُبعَه أو أكثر..فكلما فرغتَ ذهبتَ إليها
الآن هي تؤدي لقلبك خدمات لا يمكن الاستغناء عنها
لكنك تعرف أنك ما كنت لتتزوجها يوما
مثلُها لا تصلح للزواج..لكنها أكبر من أن تكون عشيقة
أَنت تستمتع باختلاس ما يمكن اختلاسه من حلاواتها
وهي تعطيك لا تتأبّى..تظن أنها بذلك تستبقيك لنفسها
لكنك لا تنوي أن تأخذ كل ما يؤخذ
أنت لا تريد أن تتوسّخ أكثر من اللازم...مازلتَ تحترم نفسك يا وغد!
تعرف أنك كلما غُصْتَ في جسمها أكثر..فقدتَّ من نفسك قطعة أكبر

وأنت لا تحب أن تخرج من غوْصة فتجد أنه لم يبق منك شيء
أنت لا تحب أن تتلاشى فيها وتعيش لها...أنت مازلت تنتمي لنفسك يا وغد!
أنا لم أرها معك..
لكني أعرف أنها ليست جميلة كما تصفها
هي شيء تحتاجه جدا..لذا تراه جميلا
أنا لا أعرفها..
لكني أعرف أنها –ربما– متزوجة
كيف عرفت؟!
لا أدري..لكن بعض الأشياء تبدو أجمل حينما ترى غيرك ركبها
حينها تشتهى لو تركبها كما ركبها غيرك
وربما هي غير متزوجة..أنا فقط أخمن
فقط يطمئنني أنك لن تتوغل أكثر..فأنا أعرفك جيدا يا وغد
أنت مازلت تهاب الحرام..تغترف منه قليلا ثم تمتنع..هكذا أنت دوما
أنت تؤمن بالآخرة يا صديقي...تراها بعيدة مؤجلة، لكنك تحسِب حسابها
مازال فيك بقايا دين لم تهترئ..
فأنت نصف صالح يعرف كيف يكسر القواعد ثم يعود خاشعا كأنه لم يفعل
كما أن لك أخوات لا تحب أن تراهن كعشيقتك هذه
مـ..ماذا؟!

لا تحب أن أقول: "عشيقتك"؟!
واو..أنت تحترمها كذلك..!!
ما شاء الله..مازلت نبيلا كما عرفتك
أنت عجينة لا تُصدق..
أنت مكونات غير متجانسة..
أنت خلطة غير ممكنة، ولولا أني أعرفك لأنكرت وجودك..
أنت تشبه أبطال الروايات الذين يختمون رواياتهم الرائعة بالانتحار ليريحوا الراوي من نسج مزيد من الفوضى الممتعة حولهم
فلابد أنك أيضا ستنهي حياتك بالانتحار، فأمثالك لا يموتون كما يموت البعير
هيه..أتعرف؟
أشعر أني أخطئ إذ أكتب عنك
لكنك –يا صديقي– شاذ مبهر..
منحرف رائع..
وسيرتك..سيرتك قبيحة مغرية
فلا أملك ألا أكتب عنك وعن أمثالك
ولا أكتمك سرا..
لا أعتقد أني أختلف عنك كثيرا
لكني وأمثالي نحسن مداراة تناقضاتنا..فلستُ أفضل منك إلا بهذه

بيني وبين الله

عندها تشعر وكأنه غير موجود
..أو موجود غير قادر
..أو قادر غير مكترث
لكنك لن تقول هذا بلسانك

عندما يصلي سمسم

وأنا بعدُ ابن سبع سنين
حدثتنا المعلمة في الفصل عن الجنة والنار.. وعن الصلاة والقبر
يومها عدت للبيت وعقلي الصغير مشغول بما سمع
قلت لأمي: أريد أن أصلي
قالت: إذن صلّ
فصليت..
ولم أترك صلاة منذ ذلك اليوم البعيد
مازال عقلي يذكر المعلمة وماما
الأولى لا أعرف أين حطت بها الدنيا
والثانية فارقتنا ولم يعد باقياً منها إلا ذكرى حضنها اللين
لكنّ أثرهما حاضر في حياتي خمس مرات كل يوم
أسدت السيدتان للطفل الصغير صنيعا سيظل يذكره ما حيي
وعلمتاه كيف يكلم سيده وولي نعمته
..كيف ينحني لمنشئه وراعيه
..كيف يحتمي بمن لا يُهزم ولا يعجز

علمتاه الصلاة للرب العلي
تمجّد اسم ربنا، وسادت الأرضَ كلمته

فيما بعد عرفت كيف أتقن الصلاة
وأصبحت صلاتي طويلة
أطول مما يُطيقه معظم أصحابي
حتى أنهم لا يدعونني أؤمهم إلا نادرا
فما يقرؤون فيه كل الفاتحة..أقرأ أنا فيه آيتين أو ثلاث
وسجودهم الذي يملؤونه دعاءً..لا يكفيني لقول تسبيحتين
ولا أعلم كيف يصلي الناس صلاتهم السريعة تلك
أنا لست أخشعَ الناس..
لكنّ من يصلي أسرع مني لا يَعقل أكثر ما يقول في صلاته ولا شك

لا أحب الصلاة وحدي
..فصلاة الإمام بي أخف من صلاتي بنفسي
لذا لا أصلي في البيت إلا قليلا، ففي المسجد معظم صلاتي
وإني لأرجو أن ينفعني هذا في دنياي وأخراي
وأحب كثيرا قول سيد الناس محمد: "لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه فيسبغه، ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته"[١] –صلى الله عليه
على أني لا أصلي كثيرا

وكثيرة هي الأيام التي لا أصلي فيها إلا الخمسة المفروضات

أذكر أول مرة صليت الفجر في المسجد
كانت ليلة شتاء باردة مظلمة
وقبل أن أنام اتخذت قرارا: هذه المرة إذا صحوتُ سأخرج للمسجد، ولن أصلي في البيت–كما كنت عودت نفسي
وفعلتها...
أعانني الله وفعلتها
وكنت أخشى أن يستيقظ أحد أبويّ ساعتها
..فلابد أني كنت سألقى منهما استغرابا
..أو ربما تقريعا شديدا
.. وما كانا ليفهما ما دعا هذا "المعتوه" ليغادر البيت في الرابعة صباحا
لكن أحدا لم يشعر بي
ثم أخبرت أمي في الصباح بما فعلت
ثم أصبح هذا عادة لي لا يعترض عيها أحد
وأستبشر بقول الرسول محمد: "بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"(٢) –صلى الله عليه

الصلاة عالم رائع
ومُستراح هادئ
وحابس عن الزلل

وبناء للشخصية

وثروة..

وأنعِم بما أهدتني معلمتي وأمي من ثروة!

هوامش

(١) صحيح.. رواه ابن خزيمة في صحيحه، والمنذري في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) صحيح.. رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.

أنا.. والضيف الخطير

في رمضان ما ليس في غيره
لا جديد في هذا
لكن دعوني أشرح لكم أكثر
أنا أحب في رمضان الأكل..
أنا دوما أحب الأكل، لكنه في رمضان أحلى
فأستمتع بالعزومات وأكلِها الكثير
وأجد بعدها دفئا في قلبي من رؤية من لا أراهم في العام إلا في رمضان
وأحب في رمضان الخروجات..
فلقاء الأصحاب بعد التراويح ليس كلقائهم في أي وقت
والسَمَر في ليل رمضان ليس كأي سمر
حتى الحب..
الحب في رمضان ألذّ
صوت الحبيبة في رمضان أعذب، ودلالها ألطف
لكن..
كما يحلو لي من رمضان أشياء..

كذلك تخيفني منه أشياء
ودعوني أشرح لكم هذا أكثر

..رَغِم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يُغفَر له، قل: آمين.. فقلتُ: آمين(*)

بصراحة..
أنا أخشى رمضان
ما أثقل وطأته على حياتي
أتحسّب له كما أتحسّب للضيوف عظيمي الخطر
رمضان فعلا خطير..
إن أنا أكرمته رفعني
وإن أهملته حطّني وسفّلني
إذا قالوا: اللهم بلغنا رمضان، توجست..
أجد ساعتها في نفسي ما أجده قبل الامتحانات
توتر..انقباض..هم
أحقا لو بقيت لرمضان يكون أفضل؟
أليس الموت الآن أهون من إغضاب الضيف الخطير؟
ببساطة يا سادة...
أنا يرعبني رمضان أكثر مما يفرحني
أفلا أخاف أن يُرغِم أنفي ضيفي؟

..رَغِم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يُغفَر له، قل: آمين..فقلتُ: آمين

أذكر إحساسي إذا أتمّ الضيف الخطير عشرة أيام..
أسمعهم يقولون: يااااه، فات ثلثه بسرعة
لا أفهمهم، وأقول في نفسي: ليته فات كلُّه
إنه يفضحني بيني وبين نفسي..
يُريني ما اجتهدت في مُداراته طول العام
يُذَكّرني أني غير جاهز للقاء ربي
يُعَرّفني أني لست من أهل الذكر والخُلوة
وأني كدت أنسى أني لله راجع
وأن عاداتي السيئة أسرتني
وأن مادية عقلي تسلّطت على قلبي فمنعته الخضوع
إنه—يا سادة—يُعرّيني ويكشف خَبيئتي..
وينذر بالويل إن مضى ثلثاه الباقيان و لم يَغفِر الله لي

..رَغِم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يُغفَر له، قل: آمين..فقلتُ: آمين

في العَشْر الأواخر أجتهد..
ليس كثيرا، لكني آتي فيها ما لم آتِ في الليالي التي سبقتها
وأبحث عن مسجد للاعتكاف، لكنّ أمن الدولة يغلق الأبواب دون العُكَاف

فيهن أتحرى ليلة القدر..
وفي كل ليلة أدعو وأكثِر الدعاء
فإذا كادت الليلة أن تنقضي جاءت لحظاتي العصيبة..
فلربما هذه ليلة القدر، وربما هذه دقائقها الأخيرة
فأتَوَتّر، وأخلو بنفسي، وأدعو.. وأدعو.... وأدعو
ثم..
ثم لا أعرف أكانت هي الليلة الموعودة، أم عليّ أن أنتظر
أنا أعرف أن الله لن يرحل ولن يذهب ليستريح بعد ليلة القدر
أدري أني لو دعوتُه بعدها لأجابني، ولو تبت لتاب عليّ
لكنّ هذا لا يمنعني أن أظل حيران بعد كل ليلة: ...أغَفَر الله، أم رَغِم الأنف؟

..رَغِم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يُغفَر له، قل: آمين..فقلتُ: آمين

ينتهي رمضان وأنا مُستنفَد
لا أعرف أنجوتُ أم ضِعْت
قد ذهب الضيف الخطير وبقيت هيبته التي زلزلت نفسي
لكني أتصبرٌ بأن رحمة ربي مُدرِكتي يوماً ولو لم يرض الضيف هذه المرة !!!
يا رب..
اجعل رمضان هذا العام أحسن رمضان مرّ عليّ

ارزقني فيه أتمّ التوبة
ومُنّ علي بأحلى المناجاة
ومتعني بأقرب القُرب منك
اللهم ولا يَرغَم أنفي
قولوا: آمين

هوامش

(*) جملة مأخوذة من حديث للنبي صلي الله عليه وسلم...
عن جابر بن سمرة قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال: "آمين آمين آمين". فلما نزل سئل عن ذلك فقال: "أتاني جبريل فقال: رغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له، قل: آمين، فقلت: آمين. ورغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك قل: آمين، فقلت: آمين. ورغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يغفر له، قل: آمين، فقلت: آمين"...رواه البخاري، والترمذي، والطبراني، والبزار، وابن حبان.

اللّه الذي حدثوك عنه

يحدّثونك كثيرا ومنذ كنت طفلا عن الله
عن قدرته..عن كرمه.. عن قربه من عبده
عن حكمته .. وعن علوه.. وعن علمه الكاشف
ثم تأتي المحنة...
فترفع يدك إليه تقول: "يا رب"، فلا يجيبك الله الذي حدثوك عنه
ويعظم ألم المحنة
فتسجد له وتقول: "يا رب"، ثم هو لا يجيب
ويصبح الألم لا يطاق
ثم...
ثم تصبح المحنة أشد
وكأنك كنت تقول: يا رب زدني كربا
عندها تفقد الثقة في الله الذي حدثوك عنه
تشعر وكأنه غير موجود
..أو موجود غير قادر
..أو قادر غير مكترث

أنت لن تقول هذا بلسانك
وربما لن تقوله حتى بينك وبين نفسك
لكن أفعالك ستقوله، وستقول ما هو أكثر
ربما تبدأ في البحث عن ناصر غيره
..فمادام لم ينصرك الله الذي حدثوك عنه، ربما ينصرك غيره
..أحد سواه له وجود تراه، وله صوت تسمعه
..أحد يمنحك قربه الأمان
ثم تجد ناصرك الجديد ابتلعك، وتشعر أنك العدم بدونه
قد يكون هذا "الإله" الجديد امرأة..أو صديقا..أو عملا..أو أي أحد أو شيء
لن تصارح نفسك بأن الله الذي حدثوك عنه لم يعد يصلح
لكن أفعالك ستقولها..
ربما ستعبر حدودا كان هو حرّم عليك عبورها
وتنتهك مناطق قالوا لك أن غضبه يحل على من دخلها
لكنك لم تعد تبالي كثيرا
كل ما يعنيك أن تجد مُسكنا لألمك ولو كان الحرام
فالله الذي طالما حدثوك عنه أصبح عندك كحكاية من التراث
..كـ "فلكلور" قديم يتحدث الناس عنه كثيرا
..فلا فرق عندك بين "الله" وبين "أبو زيد الهلالي"، فكلاهما لم ينفعك وقت المحنة
ورغم ذلك..

أنت ماتزال تصلي
ماتزال ملتزما بالحدود الدنيا من الدين
..فأنت لا تحتمل أن تبدو كالكفار
لكنك تعرف أنك لم تعد كما كنت قبل المحنة
أنت لن تعترف بهذا
لكنك تعرفه وتراه

ثم يمر الزمن..
و لم يعد العبور إلى المناطق الحرام يسكّن الألم
وخذلك من أردته ناصرا
..هناك لحظة يذوب فيها "الحب"، وتنتهي "الصداقة"، ويذهب "المال"..
وينزوي كل ما استغنيت به عن الإله الذي في السماء
هم مازالوا يحدثونك عنه..
يقولون أنه مايزال هناك ليسمعك
يقولون أنه يحب أن تعود إليه
يقولون أنه سيغسلك مما علق بك لو عدت
يقولون أنك لو كنت وثقت فيه و لم تستعجل لكان أنقذك من محنتك
يقولون أنه ما وعدك بشيء وأخلف
..فما وعدك الله –الذي حدثناك عنه– ألا تقع في كرب
..ما وعدك أن يمنحك ما تشاء وقتما تشاء
..ما وعدك أن يعطيك طول الوقت ما يكفيك

يقولون أنه وعدك أن تُختبر وتُختبر وتُختبر.. وأنت قبلت

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ

أنت رضيت الاختبار بلاياه ورزاياه

أنت لا تهضم هذا الكلام بسهولة..

لكنك ترضخ له، فأنت تحتاج الله الآن بعدما خاب أملك في غيره

أنت تحتاج إلى القوة الرهيبة المتفوقة التي تنجيك من سجن نفسك

ولا أحد ادعى هذه القوة إلا هو

لا أحد ادعاها..إلا الله..الذي حدثوك..عنه

أعرف ما الذي تفكر فيه، تقول: .. الله فكرة حلوة نحتاجها، ولو لم يكن حقيقة حاضرة

أوافقك..غير أني أعرف أنه حقيقة

إلجأ إليه..سيحميك وسيُفرح قلبَك

وإن عانيت هنا في الدنيا، فلك بعد الدنيا الجنة

والحياة في الجنة حلوة

هناك تجد الأنس والعز

..تجد الجمال والأبهة

.. والإثارة والتجدد

..تجد الراحة والمُلك

.. والأمن والوفرة

..تجد الرضا والصحة

.. والحب والطرب
هناك تجد كل ما تشتهي
ولعلك تنال بعض النعيم هنا على الأرض قبل أن ترحل
اذهب إلى الله الآن..تجده كما حدثوك عنه وأكثر
وادعُ لي معك كثيرا

تم بحمد الله

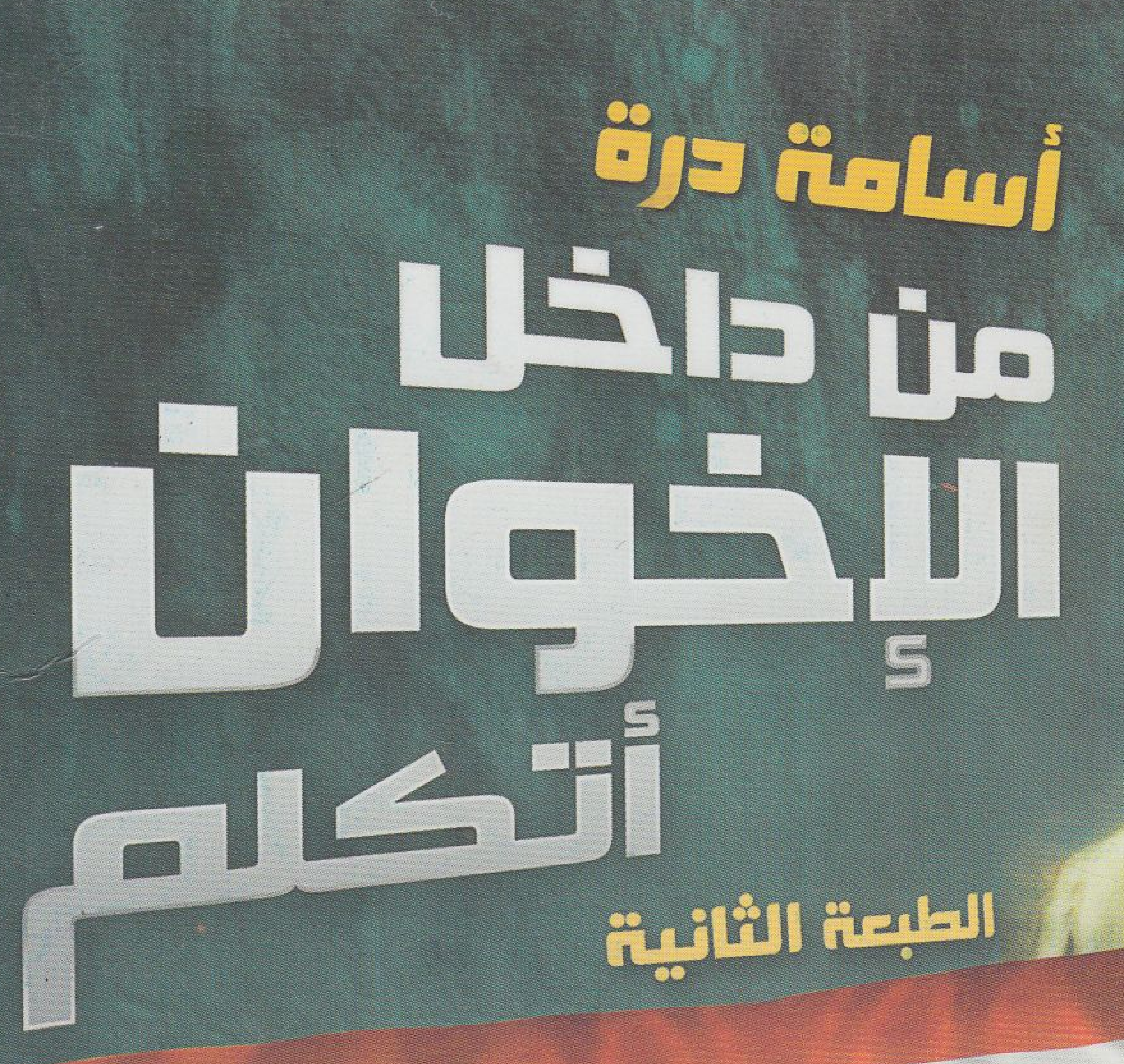
للاتصال بالمؤلف:

www.facebook.com/osamadorra

www.osama-dorra.blogspot.com

osamadorra@yahoo.com

محتويات الكتاب



أنا محروم من النضال

محروم من معركة كبرى تستنفدني

و انتمائي للإخوان لا يسعفني

الجماعة تتجنب الصدامات، فلا يوجد نضال لأمثالي

قليلون في جماعتي هم من يعانون و يخوضون معارك مهمة

أنا في قاع الجماعة، و القاع بارد راكد

أنا أتعفن حيث أنا

التلف يتراكم بي

أنا أتيبّس هنا، و أخشى أن تأتي المعركة يوما فأعجز عن القيام لها

حتى الإخوة الأعزاء في أمن الدولة خذلوني...

أنتظر مداهمتهم منذ تسع سنين على الأقل، و لا يأتو

هم أيضا يعرفون أن القاع كئيب غير مهم

لابد أن ركلة أو لطمة منهم ستبدد الكآبة و تشعرني كم

مجاهد و صامد

و سأغني في الزنزانة ساعتها مع كاظم الساهر: "أطلب أ

فلا يعطونني أقلاااام...أطلب أيامي التي ليس لها أياااام...

أشعر كم أنا بطل.

الغلاف: عبد الرحمن

